مَادَةُ رَأَى
قِــرَاءَةٌ فِي ضَــوْءِ السِّيَاقِ القــرْآنِيِّ

المدرس الدكتور
عباس عبد الحسين غياض
جامعة البصرة /كلية الآداب

الملخص:-

تناول البحث مادة رأى بتشكُّلاتها في القرآن الكريم ، مسلِّطا الضوء على التغيُّرات الدلالية التي تطرأ عليها بحكم التنوّع السّياقي الذي ترد فيه ، وقد ظهرت لنا عدة دلالات تبعا لمواردها ، فضلا عن محوريتها في كثير من السياقات القرآنية لاسيَّما في قصص الانبياء ؛ فكانت من الكلمات المفاتيح لفهم بعض الدلالات القرآنية.

'Seeing' Expressions in the Light of the Quranic Context

Teacher. Dr: Abbas Abdel Hussein Ghayad
College of Arts - University of Basrah

Abstract:

The research deals with 'seeing' expressions in the Holy Quran, highlighting the semantic changes that occur due to the contextual diversity in which it appears, and we have shown several meanings according to its resources as well as its centrality in many Qur'anic contexts, especially in the stories of the Prophets; so, the paper argues that it is a key word in the Quranic meanings.

المقدمة :-

أخذت المفردة القرآنية حيزاً واسعاً من اهتمام الدارسين بمختلف توجهاتهم المعرفية والذوقية ، فكان حضورها في مصنفاتهم بارزاً ؛ نظراً الى ما تتمتَّع به من أثر في بيان كثير من الرؤى القرآنية ، لا سيما تلك المفردات التي يمكن أن نطلق عليها بـ " المفردات المفاتيح " ؛ فحضورها في النص يستجلي الغموض الذي يكتنف محاورها التي ترد فيها ، في علاقة ترابطية بينها وبين سياقها ، وهذا بدوره يجري على المواد اللغوية بمختلف تشكّلاتها وصورها ، ومن هنا كان البحث متوجها الى مادة قرآنية كان حضورها لافتا للنظر في القرآن الكريم ، فقد تشكَّلت بصور كثيرة ، وما يميزها أنَّها قد تشكَّلت دلالاتها على وفق متكلِّمها وسياقها الذي وردت فيه ، وهذا ما لا يوجد في غيرها من المواد اللغوية بحسب موارد الاستعمال القرآني والرؤى التفسيرية

بعد استقراء المادة العلميَّة رَسمتُ الخطَّة على ثلاثة محاور ؛ تبعا لتحديد المتكلم ونوعه ، وجاء المبحث الاول مادة رأى في الخطاب الإلهي ، والثاني : مادة رأى في الخطاب النبوي ، ليسلط الضوء على دلالة هذه المادَّة في ضوء السّياق القرآني ، مناقشاً في ذلك آراء المفسرين وتحديد مقاصدهم التفسيرية ، وأمَّا المبحث الثالث فجاء عن مادة رأى في خطاب أقوام الانبياء ، ليبين دلالات تلك المادة ، مستقيا نماذج معيَّنة من تلك المحاور المتعددة . وهذا التحديد كان لسببين ، هما :

١. تبعاً لفاعلية السياق القرآني ، ولغموض تحديد الدلالة ، فالبحث غير معني بالدلالات التي تكون واضحة ، أو تلك التي لا تحتاج الى التدبر ؛ وهذا من ضوابط السياق بأنَّه يشتغل على الدلالات الغامضة أو التي يكون في تحديد دلالتها أكثر من وجه .

٢. ابتعاد البحث عن الكثير من مواطنها نظراً إلى كثرتها وتزاحمها في الحضور القرآني، وهو ما يخرج البحث عن حده المرسوم له .

الوحدة اللغوية بين المعجمية والاستعمالات السياقية

يقف قارئ النص ـ أيّ نص كان ـ أمام مكوّنين أساسين في بلورة الدلالة اللغوية للمفردة ، وهما " المعجم والسياق " ، وهذان المكونان يتآزران لإظهار روح تلك المفردة ومؤدَّاها ، عبْر علاقات نصِّيَّة ، تنتجها التَّجانسات اللغوية ، سواء أكانت القريبة منها أم البعيدة ، بحسب مقتضيات المنهج وآليَّات بيان الدلالة ، وهذا كلُّه يعتمد على الأساس في اللغة[١] ، فالمعجم اللغوي مكوِّن مهمٌّ في صياغة الخطابات النصية ، تلك الخطابات التي أخذت دورة بين الاستعمال اللساني ، ومن ثم تحوّلها من اللسانية المنطوقة الى الخطابات المكتوبة ؛ لتكون مرجعاً مهماً لفهم النصوص وصياغتها ؛ بما تمتلكه من روح حركيَّة في الاصطباغ الدلالي ؛ إذ ((إنَّ معاني الافعال الممكنة هي ضروب تجسّمها أو متضمّناتها ، والمتضمنات وضروب التجسّم هي نوع يشمل عناصر كثيرة ... ويمكن أن نقرر من الآن أنَّ الكلمات التي تقبل أن يكون معناها نوعا ومفردا أكثر قابلية لتعدد المعنى من تلك التي لا تقبل إلا أن يكون معناها نوعا)) [٢].

وبعد تقديم المعجم المادة الأساس يأتي دور المكتنف لهذه المفردة ، وهو السِّياق ، فهو صاحب الدور الأساس في بيان المعنى المراد من المفردة ، بعدما كانت تقبل كلَّ ثوب يتقمَّصها ، فالسياق يعيد تشكيل المفردة دلاليا ، في بناء يتناسق مع الواقع ، بمختلف صوره . سواءٌ في ذلك المتكلم أم المخاطب ، وكلٌّ محكومٌ بظرف النص المحيط ، فلكون ((العلامة نمطاً أو أنموذجا له مجاله وموقعه التواتري المألوف فإن للسياق تأثيرا في إعادة تشكيل هذا النمط ، ويضفي عليه صفات وخصائص طارئة لا يمكن له أن يتصف بها من حيث هو وحدةٌ مقصودةٌ ، بمعزل عن السياق))[٣].

وهو ما أكَّده فيرث ؛ إذ يرى ((أنَّ المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية))[٤] ، و التسييق لا يتقيَّد بما يحيط بالمفردة من بناء لغويٍّ فقط ، وإنَّما يتعدَّاه الى كلِّ ما يمكنه أن يكون سبباً في دلالتها ، وهذا هو ما نراه في السياق الخارجي ، الذي أفضّل تسميته بـ " مكتنفات النَّص " ، وهو ما أكَّد عليه الدرس

الأُصولي ، حين عرَّف السياق بأنَّه : ((كلّ ما يكتنف اللفظ الذي نريد فهمه من دوالٍّ أخرى ، سواء كانت لفظية كالكلمات التي تشكِّل مع اللفظ الذي نريد فهمه كلاما واحدا مترابطا ، أو حالية كالظروف والملابسات التي تحيط بالكلام ، وتكون ذات دلالة في الموضوع))[٥] ، فـ((هذه القاعدة خاصة ومحددة بظروف معيَّنة ، بمعنى أنَّه لا يمكن الاعتماد عليها في مطلق الظروف ، وفي الاحوال كلها ، وإنَّما يكون الاعتماد عليها في ظروف معينة ، وهي فيما اذا كان هناك أكثر من احتمال ، فإنّها . حينئذ . ستكون الملاذ لتوجيه المعنى ، وبيان دلالته))[٦] ، ومن هذه القاعدة السياقية في تحليل النص وفهمه جاءت فكرة البحث ، فمادة (رأى) لها سياقات تكتنفها ، وهي التي ترفدها بالدلالات ، فإسنادها الى الله تبارك وتعالى تعني تجردها عن الماديات في كل مواطنها السياقية ، والحال نفسه فيما يتعلق بما يراد منها في متعلّقاتها ؛ ولذلك فالسياقات المتعالقة هي التي تقدّم رؤية متكاملة عن حركية النص القرآني ، فلا يمكن لمن يفسر الظاهرة القرآنية بصورة صحيحة ، منسجمة مع قصدية النص من كان بعيدا عن الوحدة الموضعية والموضوعية ، إذ إنَّ ((نظام اللغة نظام متشابك العلاقات بين وحداته ومفتوح دوما على التجديد والتغيير في بنياته المعجمية والتركيبية حتى غدا تحديد دلالة الكلمة يحتاج الى تحديد مجموع السياقات التي ترد فيها))[٧]، وهذا ما سنتناوله في مادة رأى في القرآن الكريم ، وسيكون البحث منصبا على قراءتها عبر المحددات السياقية التي تكون ذات اسهام كبير في بيان المعنى الوظيفي لهذه المادة .بقي ان نقف على الدلالة اللغوية والاصطلاحية لمصطلح السياق والرؤية ليكونا مدخلاً للبحث .

السياق لغة : اتفقت المعاجم اللغوية على أنَّ السياق يدلّ على التتابع والتوالي ، وهو وما تمثل برؤاهم المعجمية ، وورد : ((وَلَدَتْ فلانةُ ثَلاثَةَ بَنِيْنَ على سَوْقٍ واحِدٍ : أي بعضُهم في إثْرِ بعضٍ... المُنْسَاقُ : التّابعُ))[٨]، وعرفه ابن فارس بأنه ((حدْو الشَّيء ، يقال : ساقه يسوقه سوقا))[٩] وجاء في المعجم الوسيط أنَّ ((سياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه))[١٠] ، وهو بمجموعه يدل على التتابع والتوالي بين

مكونات الشيء ، وهو ما يمكن انطباقه على النص اللغوي المراد تحليله ، والتوالي يستدعي الترابط بين مكونات النص ، وهو ما يعطيه السمة السياقية في قبال الموجهات الاخرى .

السياق اصطلاحا : يرتبط السياق اصطلاحاً بالبُعد اللغوي ؛ فالسياق هو : ((إطار عامّ تنتظم فيه عناصر النصّ ومكوناته اللغوية ، ومقياس تتصل بواسطته الجمل فيما بينها وترابط))[١١] ، والمفيد هنا هو وصفُ السياق بـ" الإطار العام " ، وهو بذلك يمثِّل المكتنف الذي يحتوي مكونات النص من جزئيات ، وبذلك تكون العلاقة بين النص والسياق علاقة الجزء بمحتويه ، فالسياق أعمّ ، إذ يتوقف السياق على وجود نصٍّ متكامل من حيث الوحدة الموضوعية والترابط النصي ، وهو ما يعبَّر عنه بالتماسك ، وللسياق اهمية كبيرة ؛ إذ ((يفترض بالسياق إعطاء دلالة دقيقة عن العلامة / الخبر / الانتاج ... وقد يكون "السياق الموضعي" هو السياق الوحيد أحيانا بل والسياق الضروري غالبا ، لرفع الإبهام))[١٢] .

بعدما استقرأتُ المادة القرآنية ، وجدتها متوزّعة على ثلاث طبقات ، ولكلِّ طبقة استعمالاتها ودلالاتها ، على أنَّ هناك جامعاً مشتركاً بين المعاني كلِّها ، وهو ما سيتَّضح عند تحليل الموارد القرآنية ، فجاء التقسيم وصفيا بقراءة تحليلية سياقية؛ بحسب مقتضى ورودها في الكتاب العزيز ، فكان على ثلاثة محاور ، هي :

١ . أثر السياق في دلالة مادة رأى في الخطاب الإلهي .

٢ . أثر السياق في دلالة مادة رأى في الخطاب النبوي.

٣ . أثر السياق في دلالة مادة رأى في خطاب أقوام الأنبياء.

أولا : أثر السياق في دلالة مادة رأى في الخطاب الإلهي

حضور المراتب الخطابية في القرآن الكريم يستلزم التعدد الدلالي في تلك الخطابات ، وهو ما يتعلق بصاحب الخطاب نفسه ، فالمفردة التي تكون خطابا متعلقا بالحق سبحانه هي غير تلك المفردات التي تتعلق بغيره تعالى ، كما في البشر ، وهذا ما يلاحظ في مادة رأى ، فهي في الاستعمال الإلهي لها دلالة خاصة ،

وخصوصيتها تكمن في خطها الدلالي المستقيم ، فهي ذات بعد دلالي طولي واحد في جميع تشكلاتها ، ومن ذلك قوله تعالى : ((اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى * قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى * فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى))[١٣]، إذ نقل الطوسي ((" انني معكما اسمع " ما يحاوركما به " وأرى " ما تجيئان به. فالسامع هو المدرك للصوت. والرائي المدرك للمرئيات))[١٤] ، والادراك إنَّما هو من مراتب العلم ، وبه قال ابن عطية ، فهما : ((عبارتان عن الإدراك لا تخفى معه خافية تبارك الله رب العالمين))[١٥]، في حين ذهب الرازي الى أنَّ هذه الصفة زائدة على العلم ، قال الرازي : ((واعلم أن هذه الآية تدل على أن كونه تعالى سميعاً وبصيراً صفتان زائدتان على العلم لأن قوله : { إِنَّنِي مَعَكُمَا} دلَّ على العلم ، فقوله : { أَسْمَعُ وأرى } لو دل على العلم لكان ذلك تكريراً وهو خلاف الأصل))[١٦]، ورؤية الرازي مبنية على معتقده الاشعري في زيادة الصفات عن الذات ، وهو ما ينكره السياق القرآني في معطياته ، وقد ردَّه أحد المفسرين ؛ إذ يرى أنَّه ((من أوهن الاستدلال أما أولا : فلما عرفت أن مفاد "إنني معكما" هو الحضور و الشهادة و هو غير العلم. و أما ثانيا: فلقيام البراهين اليقينية على عينية الصفات الذاتية و هي الحياة و القدرة و العلم و السمع و البصر بعضها لبعض و المجموع للذات، و لا ينعقد مع اليقين ظهور لفظي ظني مخالف البتة[١٧]. و أما ثالثا: فلأن المسألة من أصول المعارف لا يركن فيها إلى غير العلم، فتتميم الدليل بمثل أصالة عدم التكرار كما ترى))[١٨]، وبهذا يتَّضح أنَّ " معكما " ليس المراد به العلم ، وانما هو الحضور والشهادة .

ومن موارد هذه المادة ايضا قوله تعالى : ((ألم يعلم بأن الله يرى))[١٩] يقول الطوسي: ((أي يعلم ما يفعله ويدرك ما يصنعه، فالهدى البيان عن الطريق المؤدي إلى الغرض الحكمي))[٢٠] ، فالمراد بالرؤيا هنا مرتبة من مراتب العلم ، وهو ما قاله

الطباطبائي أنَّ ((المراد به العلم على طريق الاستلزام فإن لازم الاعتقاد بأن الله خالق كل شيء هو الاعتقاد بأن له علما بكل شيء و إن غفل عنه و قد كان الناهي وثنيا مشركا و الوثنية معترفون بأن الله هو خالق كل شيء و ينزهونه عن صفات النقص فيرون أنه تعالى لا يجهل شيئا و لا يعجز عن شيء و هكذا))[٢١] ، واللافت للنظر ان دلالة هذه المادة في القران الكريم واحدة ؛ لكونها تتعلق بالذات الالهية .

ثانيا : أثر السياق في دلالة مادة رأى في الخطاب النبوي

حضرت مادة " رأى " في خطابات بعض الأنبياء ، وكانت ظاهرة بارزة فيها بكلِّ تشكّلاتها " الفعلية والاسمية " ما يؤشِّر- وبعمق دلالي كبير- أنَّ لها بُعدا مهمّاً في تبلور الرسالة الهادية لديهم ، وفي نفوس المخاطَبين ، فانعكست هذه الأهمية على الواقع في تلك الحقبة ، وما يستتبعها من ملازمات الى يومنا . وهذا ما نلاحظه في الآيات القرآنيَّة التي تنبئ عن تلك الحركية في الرؤية القرآنية ، وهو ما سيكون مدار البحث.

أثر السياق في توجيه دلالة رأى في قصة إبراهيم عليه السلام

قال تعالى : ((إذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهةً إنّي أراك وقومك في ضلال مبين * وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين))[٢٢] .

شكّلت مادة " رأى " مفصلا مهمَّاً في عقيدة إبراهيم " عليه السلام " ، بدءاً من لطف الله به ، وانتهاءً بتوجّهه الى الحقّ سبحانه وتعالى ، فالله قد بدأ معه بالرؤية المعنوية[٢٣] ، وجعلها أداة لتوجّه إبراهيم "عليه السلام" ، قال سبحانه : ((وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ))[٢٤]، وقد ذهب المفسرون في هذا الى مذهبين ، مقدمين بذلك رؤيتين تفسيريتين تعتمدان على السياق القرآني في بُعدٍ دلالي جميل ، فيرى أصحاب الرأي الاول أنَّها معنويَّة خالصة، وأمَّا القراءة الأُخرى فهي التي كانت تُلاحظ بعمقها الذي قدمه المفسرون ، فقد ذهب الطاهر بن عاشور الى أنَّ ((الرؤية هنا مستعملة للانكشاف والمعرفة ، فالإراءة بمعنى الكشف والتعريف ، فتشمل المبصرات والمعقولات المستدل بها بجميعها على

الحق ، وهي اراءة إلهام وتوفيق ، كما في قوله تعالى " أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض "[٢٥] فإبراهيم عليه السلام ابتدئ في أول أمره بالإلهام الى الحق ، كما ابتدئ رسول الله ص بالرؤية الصادقة . ويجوز أن يكون المراد بالإراءة العلم بطريق الوحي ، وقد حصلت هذه الإراءة في الماضي وحكاها القران بصيغة المضارع لاستحضار تلك الإراءة العجيبة كما في قوله تعالى : ((الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا))[٢٦] ، الظاهر من رأي ابن عاشور أنَّه لم يتوقَّف عند المحسوس فقط ، بل جعل الرؤية عامة بين المحسوس والمعنوي ، وهذا ما افاده من السياق القرآني ، فقد انطلق من مقدمة كلية مفادها : أن الإراءة هي الكشف والتعريف ، وهذه غير منحصرة بالغيبي ، مستندا في ذلك الى نصٍّ متعالق مع موردنا ، وهو قوله تعالى : ((أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض))[٢٧] ، مستظِهراً منه أنَّ النظر يرادف الرؤية ، لذلك حملها عليها هنا ، وهذا وإن كان له وجه إلا انه ليس وجيها فيما نحن بصدده ، فهو ليس مطابقا لموردنا ، فالترادف بين النظر والرؤية بعيد جدا . وقد اعتمد على قرائن سياقية أُخرى في تحديد دلالة اراءة الملكوت ، ومن ذلك قوله تعالى: ((فلما جنَّ عليه الليل)) فهو تفريع على قوله : ((وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ))[٢٨]، بقرينة قوله : " رأى كوكبا " فهو من ملكوت السماوات ، وقوله في المعطوف عليه " نري إبراهيم ملكوت السموات والارض " فهذه الرؤية الخاصة التي اهتدى بها الى طريق عجيب فيه إبكات لقومه مُلجئ لقومه إيَّاهم للاعتراف بفساد معتقدهم ، هي فرع من تلك الإراءة التي عمت ملكوت السموات والارض ، لأن العطف بالفاء يستدعي مزيد الاتصال بين المعطوف والمعطوف عليه لما في معنى الفاء من التفريع والتسبب ، ولذلك لا نعد جعل الزمخشري " فلما جنَّ " عطفا على " قال ابراهيم لأبيه "[٢٩]، وجعله ما بينهما اعتراضا ، غيرُ رشيق[٣٠] .

أما أصحاب القراءة الاخرى فيرون أنَّ الرؤية هنا ليست بَصريّة ؛ لكون المظروف أكبر من الظرف . وإنَّما هي ذلك التفكر الذي يجعل المرء متوجها الى الله سبحانه ، وهذا ما تشير إليه الوحدة السياقية لآيات الرؤية ، الخاصّة بإبراهيم عليه السلام ،

فقوله : (إنّي أراك وقومك في ضلال مبين) رؤية فكريَّة عقديَّة[٣١] ، فكلّ ما يحيط بها هو سياق فكري عقائدي ، ولا سيَّما أنَّ رؤية الضلال من مختصات العقل ، ومن ثم فالقول بأنها بَصَريَّة بعيد عن هذا السياق ، خصوصا بعد امكان تقدير المفعول الثاني الذي يحتمله الفعل المتعدي " أرى " وبه يكون " في ضلال مبين " في موضع المفعول الثاني[٣٢] ، فروح السياق هنا عقائدي إذ إنَّ ((الشرك والكفر بالله العظيم هو الضلال بكل ما لهذه الكلمة من معنى ، فهو انحراف في العقيدة والايمان الذي هو ضروري للإنسان كما أنَّه انحراف عن العمل الذي يوصله للسعادة ، وانحراف عن الصراط الذي يسلكه الى الكمال ، وانحراف في الاخلاق التي يحتاجها في تصفية النفس وتطهيرها من الرذائل ، ولعله لأجل ذلك كان ضلالاً مبيناً . أو من أجل كونه خلاف الفطرة التي تدعو الى التوحيد ونبذ الشركاء ، أو خلاف مرتكز العقول التي تدعو الى الحسن وينحصر بالاعتقاد بالحق ، وهو توحيد الله وتطهير السرّ من الشرك))[٣٣] ، ولذلك فالله تعالى ((إنما جعلهم مظروفين للضلال ، لبيان أن الضلال صار ظرفا لهم ، وهو أبلغ من وصفهم بالضلال))[٣٤]، وهذه الرؤية مرتبطة بالواقع الإلهي الذي رسمته الآية السابقة بمحاورها السياقيَّة ((وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير))[٣٥] . فمحاور النصِّ هذا : " خلق السماوات والارض ، ويوم القيامة او اعم منه لقوله : يوم يقول كن فيكون ، الاحاطة بالمحسوس والغيبي ، وبهذا يتبيّن أن قول إبراهيم : " أراك " ، قد جاء متعكِّزا على هذه الحقائق الالهيَّة الواقعيَّة ، فبعد أن ثبتت في ذهنه ، توجَّه إلى أبيه؛ ليدحض ما هو عليه ، فقال : (إنّي أراك وقومك) ، واستعمال الفعل المضارع في سياق آيات الرؤية يعطي حركيَّة مستمرة عن ذلك التفاعل بين رؤيته وإراءة الله إيَّاه، وكأنَّهما رؤية واحدة ، وهو ما يعبّر عنه التَّوافق في زمن الفعل ، (إني أراك ..... كذلك نري ابراهيم ...) .

التمركز حول المحرّك الأساس في القصَّة يجعله حاضرا في مفاصلها كلِّها ، ما يعني أنه من ركائزها الاساسية ، لذلك فقد يُبعدُ القولُ : إنَّ إخبارات إبراهيم عن الكواكب كانت قبل أن يُظهر لأبيه ضلالَه المبين الذي كان عليه . وظاهر النصّ يشير إلى ذلك ، ولكن هذا ينافي الترتيب المنطقي للحدث ؛ إذ كيف يرمي دينَ آزرَ بالضلال، وهو نفسه لم يصل الى الحقيقة بعد ؟! إذ ما تزال بواعث الشَّكِّ تسري في قلبه ، فيتنقَّل بين الكواكب ؛ ليصل الى معبوده منها ! .

حاكمية السياق تقودنا إلى أنَّ الإخبارات عن الكواكب جاءت بعد أن رأى ضلالَ أبيه وقومِه ، الذي كان بعد رؤيته الملكوت ، ولذلك فكل ما يخصّ المعتقَد إنما جاء مترتبا على تلك الرؤية الملكوتية ، فكانت هذه البارقة الإلهية مقدمة لخطاب ابراهيم، ومحاججته قومه ، ولذلك نبَّهه على أن يحاجج القوم ، بالأسلوب نفسه ، وكأنَّ الفعل " رأى " امتدَّ ليكون مظهرا لتلك الرؤية الملكوتية ، ولكن بنسبيَّة معيَّنة، إذ إنَّ آيات الرؤية التي جاء بها إبراهيم لمحاججة قومه هي آيات حسيَّة ؛ فلا يناسب حالهم غير الظاهر المحسوس ، وهو منهج قرآني في توافقاته السياقيَّة والواقعيَّة الخارجيَّة ، فالخطاب لإبراهيمَ لم يكن بالظاهر المحسوس . وإن كان مهماً في ذاته . بل خاطبه بأعمق من ذلك ، فذهب به الى التفكُّر ، فقال : ((وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ليكون مِنَ الْمُوقِنِيْنَ)) ؛ لكون مقامه أسمى من أن يتوقَّف عند الظاهر المحسوس ، ويتقيَّد به ، ولذلك جاء الخطاب بالرؤية الفكرية . واللطيف في المقام هو أنَّ الله تعالى وخليله إبراهيم قد استعملا الفعل " رأى " نفسه، ولكن لاختلاف جهة المخاطَب وتغايرها ، تعلَّق كلٌّ منهما بجهة خاصَّة ، فكان محور الحقِّ سبحانه وتعالى هو ابراهيم ؛ فجاء الخطاب بالفعل ، وهو يدلُّ على المدرَك الفكري والغيبي ، في حين كان محور إبراهيم في خطابه هم قومُه ، فلذلك جاء خطابه معتمدا على الظاهر الحسّي ؛ بما يتناسب مع قومه الذين كانوا يؤمنون بهذه الكواكب بانها آلهة لهم .

الامتداد السياقي في حركية الفعل " رأى " في قصّة الذبح

يُظهر لنا السياق القرآني أثرَه في دلالة الفعل " رأى " على الحركية الممتدة في قصّة ذبح إسماعيل عليه السلام ، قال تعالى : ((فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ))[٣٦]، إذ إنَّ اللافت هنا أنَّ إبراهيم عليه السلام قد استعمل مادة " ر. أ. ى " مرتين ، ولكلّ استعمالٍ دلالتُه فالأُولى كانت مناميَّة ، ولكنَّها تحمل دلالةً إلهاميَّة إلهيَّة ، ولذلك رأى ابراهيم وجوب الامتثال لها ، بعد ذلك خاطب إسماعيلَ بـ " ماذا ترى ؟ " . وهو تحوُّل بالنصِّ من المتكلم الى الخطاب ، وهو من الالتفات الذي أعطى النص بُعدا دلاليا خاصًّا ، فهو لم ينفّذ الأمر مباشرة ، بل جعل ابنه معه في هذا ؛ ليكون معه في الامتثال الحقيقي للأمر الالهي ، وربما هذا مدخل للاختبار ؛ وهو أن يكون اختبارا للاثنين معاً ، هو اختبار لإبراهيم عليه السلام في تنفيذه أمر ربه ، واختبار لإسماعيل في تحمُّله ذلك الأمر ؛ ليكون بعد هذا الاختبار نبيَّاً بعد أبيه ، وهذا هو أقرب الدلالات الى الالتفات وأعمقها ، وإلا فالجوانب الجمالية والمحسَّنات اللفظية موجودة في كل سطور القرآن الكريم ، ولكنَّها تحمل في بواطنها دلالات أعمق من الظاهر لنا ، وبذلك يكون النظر الذي سبق خطاب إبراهيم الى إسماعيل يراد منه التفكُّر النظريُّ في المسألة ، إذ إنَّ النظر يدل على (تأمل الشيء ومعاينته)[٣٧]، ولذلك لم يرد إبراهيم من إسماعيل أن يوافق من دون تفكّر ؛ فقال له : ((إني أرى في المنام أني أذبحك ، فانظر ماذا ترى ...؟)) ، فقدَّم النظر ، وهو التأمَّل في الأمر ؛ لتكون الموافقة عن قناعة تامة ، ومن ثم عقبه بقوله : (ماذا ترى ؟) ؛ لتوقف الرؤية على التأمّل ، والرؤية . هنا . يقينية ((فالرؤية علم ثابت لا شكَّ فيه ؛ ولذلك عبَّر بها عن العلم اليقيني في نحو قوله الله عز وجل : (كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ)[٣٨]))[٣٩] فلا يمكن الوصول الى اليقين إن لم يكن هناك تأمّل وتفكُّر . وهذا ما نراه في قول إسماعيل عليه السلام : ((افعل ما

تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين)) ، وهو ناتج عن يقين قاطع بتلك الرؤية الإلهيَّة ، وهذا ما أظهره النَّصّ بسياقه المتَّصل.

وجملة التأكيدات التي جاء بها إبراهيم " عليه السلام " تُعبِّر عن الحال التي كان عليها ، فالسياق يوحي إلى أنَّه نفسه لم يكن في بادئ الأمر مقتنعاً بالأمر إلا بعدما حصلت له تأكيدات مناميّة ربانيَّة ، وهو ما يطالعنا به النَّصّ الرّوائي الحافُّ بالقرآن الكريم ، فالروايات[٤٠] تقول : إنَّ الله كرَّر المنام على إبراهيم ثلاث مرات ، وفي المرة الثالثة امتثل إبراهيم الى أمر ربِّه ، ورأى أنه من المنامات الصادقة ، ولذلك ترجم تلك التوكيدات التي جاءته في المنام الى صياغات لفظية ، عبَّر فيها عن يقينه التام بصحَّة ما سيفعله ، وأنه مرتبط بالله سبحانه وتعالى ، وانه امتثال أمره ، لذلك قال: ((إنّي أرى في المنام أنّي أذبحك)) ، فاستعمل أنَّ المؤكدة مرتين ، للدلالة على مراده، واللطيف هنا أنَّ إسماعيل كان على مستوىً عالٍ من الإيمان ، ذلك الايمان الذي كان متجسِّدا في قلبه ، فتشكَّل على صورة جبل شامخ أمام أبيه ، وهو يكشف له عن تقبّله أيّ أمر يأمره به الله سبحانه ، وليس الذبح فقط ، فقوله : ((افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين)) يكشف الستار عن أنه لا يمانع أيَّ فعل يريده أبوه له ! فهو مؤمن بنبوَّة أبيه ، وبحكمة مرسلِه تبارك وتعالى رب العالمين ، فالحكمة الالهية تتابعت في النص الملحق ، وكشفت عن مكنونها من اختبار إبراهيم واسماعيل " عليهما السلام " ، ولذلك جاءت خاتمة النص بالبشارة ((وبشَّرناه بإسحاق نبيًّا من الصالحين))[٤١] ، فـ((في المقاربة النصية ما يخدم الغرض ويفيد في الاستدلال على أسرار النص القرآني وأعماقه ، الجمالية والنصية ، التي ترتكز على الاستمداد من بنيته النصية نفسها ، هذه البنية التي تتوافق وسياق النص القرآني الخارجي ومقاصده العليا ولا تعارضها))[٤٢]، وهذا ما يبوح به الواقع القرآني ببعده الترابطي السياقي ، فلم تكن تلك النبوّة لولا ذلك الامتثال المطلق لإرادة الحق المطلقة المتمثلة بإراءة إبراهيم عليه السلام نبيا .

طلب الرؤيا ومقام الاصطفاء

لم يطلب الرؤيا من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين سوى اثنين ، هما : نبي الله إبراهيم ونبي الله موسى "عليهما السلام" ، وجاء خطابهما بالصيغة نفسها مع اختلاف المتعلق ، قال تعالى : ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))[٤٣]، وقال مع موسى : ((وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ))[٤٤] .

ظاهر السياق القرآني أنَّ إبراهيم لم يطلب رُؤيا الله في خطاباته كلِّها ، ولعلَّ ذلك يعود الى أنَّه قد أُكرم بها ، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : ((وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ))[٤٥]، إذ إنَّ ((المقصود من الكلمة حكومة الله المطلقة على عالم الوجود برمته ، ولعلَّ هذه الآية اجمال للتفصيل الوارد في الآيات التالية بشأن الكواكب ... وبهذا يتضح المقصود من اراءة ملكوت السموات والارض لإبراهيم عليه السلام))[٤٦] ، ويُطلق على هذه الرؤية بـ((بالشّهود الروحي))[٤٧]، وهذا ما تسلَّح به إبراهيم "عليه السلام" في مسيرته التبليغيَّة العباديَّة ، فقد كان يسير على وفق هذه الرؤية التي تمثَّلها له الله تبارك وتعالى ، ((فقد كان يحاجّهم عن إفاضة إلهيَّة عليه بالعلم و الحكمة وإراءة منه تعالى لملكوته مبنيَّة على اليقين لا عن فكرة تصنيعيَّة لا تعدو حدَّ التخيُّل والتصوَّر ، ولا تخلو عن التكلُّف والتعسّف الذي لا تهتف به الفطرة الصافية))[٤٨] ، والملاحظ أنَّ الرؤيا مع إبراهيم "عليه السلام" قد بدأت فكريَّة اعتقاديَّة فيضيَّة ، ويراد بها العلم ، والله تعالى قد أراه هذه الرؤيا ، فبدأه بالرؤيا قبل أن يطلبها هو نفسه ! ، وهو مكان عظيم ، ومرتبة شريفة ، لا ينالها الا من خبر الله قلبَه ، ووصل الى الدرجات العالية . وهذا من مقومات شخصيَّة إبراهيم القوية ، فقد كان أمَّة في قوته وثباته ، كما يخبرنا القرآن الكريم : ((إنَّ

إبراهيم كان أمَّة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين))[٤٩] ، وهو من لوازم رؤية الملكوت التي جعلها الله له ، لذلك جابه كل المعتقدات ولم يغادر قومه ، واعطي الحجة الكاملة ؛ لكون وعائه مستوعبا لكل هذه الاحداث ، فأنكر عبادتهم ، ((وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين))[٥٠] ، فالصدح بالعقيدة في تلك الظروف لم يكن بالأمر الهيّن أبداً ، فقد تكون عقوبته الموت والهلاك ، ولكنَّه كان ثابت القلب لما فيه من اليقين الإلهي ، وحاججهم بعد ذلك بما يتعبَّدون به ، فأبطل حججهم ! ، وقد اعتمد الأُسلوب الالهيَّ في الاحتجاج والنقد ؛ ليصل الى مبتغاه ، فاستعمل معهم الفعل " رأى " نفسه ، ولكن بدلالة تختلف ، فقد سار معهم في دلالته طوليًّا ، معتمداً على دلالته الحسية ؛ لعدم خروجهم عن المحسوس قبل هذا ، وهو ما يناسب عقيدتهم التي تؤمن بالمحسوس المادي ، وتجعله المتعَكَّز عليه ، ولا تتعدَّاه ، فلذلك استعمل الفعل " رأى " في الآيات التي أبطل فيها معبوداتهم ، وهو مرتبط بتلك الرؤية الملكوتية ، فهي مفتاح لكل الرؤى الالهية في هذا الكون ، فكان عارفا عالما بكل مفاصل الكون بما وهبه الله تعالى ، وأصبح ذلك مقوِّما أساسيًّا في دعوته الإلهيَّة .

لكلِّ فعل دلالته في سياقه الذي يرد فيه ، وله مؤدَّاه ، بحسب المحيط الذي أُنتج فيه هذا الخطاب ، وهذا المقام يحيلنا على أن هناك مقامين كبيرين للنبيين إبراهيم وموسى ، وهذا ما يكشفه خطابهما الى الله تعالى بطلب الرؤيا ، ولكن الاختلاف في حقيقة المطلوب ، والمسكوت عنه هو ما تكمن فيه الأهمية الكبرى ، فالمرء يطلب ما ليس في يده ؛ وهذا يجعلنا أمام مقاربة بين الطلبين ، في قوله تعالى : ((وإذ قال إبراهيم ربِّ أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهنَّ يأتينك سعياً واعلم ان الله عزيز حكيم))[٥١] .

وقد اتفقت كلمة المفسرين على أنَّ المراد من الرؤية التي طلبها إبراهيم هي الرؤية الحسيَّة ، قال الطوسي . ناظرا الى نتيجة الطلب الذي قدمه ابراهيم الخليل . :

((تحقيقه لنزداد طمأنينة إلى ما نحن عليه من المعرفة، وان كانت المعرفة لا تكون إلا مع الثقة التامة، فان الدلائل كلما كثرت مكّنت في النفس المعرفة))[٥٢] ، وذهب الشريف الرضي الى أنَّ الازدياد في العلم هنا وليس في الإيمان ، وللملازمة بينهما فإنَّ الازدياد في العلم يلازمه الازدياد بالإيمان والطمأنينة وهو كما في قوله : (("رب أرني كيف تحيى الموتى" ليزداد بذلك علما إلى علمه))[٥٣]. وهو بذلك ثابت الايمان والمعتقد ، وهو ما يبيّنه سياق الآية التي طلب فيها الرؤية ، لذلك ((قال تعالى: أولم تؤمن، و لم يقل: أ لم تؤمن للإشعار بأن للسؤال و الطلب محلا لكنه لا ينبغي أن يقارن عدم الإيمان بالإحياء: و لو قيل: أ لم تؤمن دل على أن المتكلم تلقى السؤال منبعثا عن عدم الإيمان، فكان عتابا و ردعا عن مثل هذا السؤال، و ذلك أن الواو للجميع، فكان الاستفهام معه استفهاما عن أن هذا السؤال هل يقارنه عدم الإيمان، لا استفهاما عن وجه السؤال حتى ينتج عتابا و ردعا))[٥٤] ، وبذلك يقرّر المفسرون أنَّ (({ أَرِنِي } بصّرني))[٥٥]، وبه قال الآلوسي : (({ أَرِنِي } من الرؤية البصرية))[٥٦] ، وهو ((إنما سأل ذلك ليصير علمه عياناً))[٥٧] ، على أنَّ الرؤية لم تكن منحصرة بالخليل ابراهيم وانما كانت تشمل النمرود ، ليكونوا على بينة من أنَّ الله يحيي ويميت ، وهي رؤية لطيفة قدَّمها الرازي ، إذ يرى أن واحدا من ((سبب السؤال أنه مع مناظرته مع نمرود لما قال : { رَبِّيَ الذى يُحْيِ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِ وَأُمِيتُ } فأطلق محبوساً وقتل رجلاً قال إبراهيم : ليس هذا بإحياء وإماتة ، وعند ذلك قال : { رَبّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ الموتى } لتنكشف هذه المسألة عند نمرود وأتباعه))[٥٨] ، وبهذا يتبين لنا أنَّ ال((تعبير (أرني كيف...) أنّه طلب الرؤية والشهود عياناً لكيفيّة حصول البعث لا البعث نفسه))[٥٩] ، إذ ((أنّ الآية تبيّن بوضوح هذه الحقيقة، وهي أنّ إبراهيم(عليه السلام)طلب من الله تعالى المشاهدة الحسيّة للمعاد والبعث لكي يطمئّن قلبه، ولاشكّ أنّ ضرب المثل والتشبيه لا يجسّد مشهداً ولا يكون مدعاة لتطمين الخاطر، وفي الحقيقة أنّ إبراهيم كان مؤمناً عقلاً ومنطقاً بالمعاد، ولكنّه كان يريد أن يدرك ذلك عن طريق الحس أيضاً.))[٦٠] .وبهذا يتبين لنا ان الرؤية التي

طلبها ابراهيم هي رؤية حسية ، تكون مشاهدة عيانا ، ومن لوازمها العلم المؤدي الى زيادة الايمان عند ابراهيم الخليل ، وهنا قد يُشكل على احد هذه الوجوه التي قدمتها، وهو ان ابراهيم بعدما أراه الله ملكوت السماوات والأرض كيف له أن يخطر في باله هذا الشك ؟!

والاجابة هنا تتشكَّل بعدَّة أُمور ، يمكن بيانها بالآتي :

١. بناء على ما أقره جمع من المفسرين أنَّ إبراهيم أراد الازدياد بالعلم ، وهو بعيد عن الشكِّ ، فيقينه سابق ، كيف وهو خليل الله ؟! .

٢. إنَّ سؤاله كان ردّاً على من حاججه بالإحياء والإماتة ، فبعدما قدم الخصم حجَّته بقتل سجين والاعفاء عن آخر ، طلب إبراهيم من الله أن يميت ويحيي الكائن نفسه لا غير.

٣. أراد إبراهيم أن يرى عمليَّة البعث لا أصل الاحياء والتكوين ليكون شكَّاً .

أثر السياق في بيان دلالة رؤيا موسى عليه السلام

قال تعالى : ((وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ))[٦١]

يشير ظاهر النص القرآني الى أنَّ موسى "عليه السلام" قد طلب أن يرى الله رؤية حسّيَّة ، بقوله : ((رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ)) ، وهذا ما يتبادر الى ذهن المتلقي أول الأمر ، وربما تكون بعض القرائن دلائل واضحة على أنَّ موسى لم يطلب غير هذه الرؤيا[٦٢]، ومنها ، قوله تعالى : ((قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي)) ، فتعليق الرؤيا هنا أصبح برؤية الجبل ، والجبل من المحسوسات المادية ، ولعدم ثبات الجبل لم يستطع موسى أن يرى ربَّه ! .

التأمل في سياق الآية وما يكتنفها من ملابسات يبعد هذا الفهم جملة وتفصيلا ؛ لكونه قد تعكز على الدلالات الحقيقية للمفردة ، بعزلها عن سياقها ، وهو ما يشير إليه لفظا (أرني . أنظر) ، فلم تتقيَّد دلالتا هاتين المفردتين بالمعنى المادي في القرآن

الكريم حتى نستبعد غيرها ، ولم يخبرنا القرآن الكريم عن استحالة التعدد في معاني المفردات طولا ، بل قد اكد القران الكريم .في بعده الدلالي .على أن للألفاظ دلالات مختلفة بحسب السياق الذي ترد فيه ، ومن ذلك ما يلاحظ في مادة " نظر" ، فهي ليست ملازمة للمعنى المادي في المنظور ، وبهذا جاء الذكر الحكيم ، ومنه قوله تعالى : ((قل سيروا في الارض فانظروا كيف كانت عاقبة المكذبين))[٦٣]، وقوله : ((انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ماكانوا يفترون))[٦٤]، وقوله : ((ولقد بعثنا في كل امة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من حقَّت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين))[٦٥] ، وقوله : ((قالوا نحن ألوا قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين))[٦٦] . مع هذه الآيات كلها لا يمكن أن نفهم أنَّ المراد من النظر هنا هو النظر المادِّي بالعين الباصرة أبداً ، فالخطاب هنا يشمل حتى من فقد بصرَه ، فالنظر في عاقبة المكذِّبين ليس مختصًّا بمن يبصر بعينه أبداً ، بل هو أمر عقليٌّ فكريٌّ قلبيٌّ ، وهكذا ما تؤكده الآيات التي سبق ذكرها ، على ان هناك جملة من الآيات الكريمة التي تشير الى هذه الدلالة ، اكتفيت بحاجة البحث فقط .

وهناك آيات أُخر تشير الى الدلالة الحسِّيَّة للنَّظر ، ومن ذلك قوله تعالى : ((واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون))[٦٧] ، وقوله : ((فنظر نظرة في النجوم))[٦٨] ، وقوله : ((فلينظر الانسان الى طعامه))[٦٩]، وقوله : ((أشحَّة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يُغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحَّة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا))[٧٠] ، فهذا لا يكون الا في الماديات ، وان كان لا يخلو من التفكر في المنظور اليه ، ولكنه في مجمله يشير الى المنظور المادي ؛ وبذلك يكون النظر من الالفاظ التي تحتمل اكثر من دلالة ، وتتحدَّد هذه الدلالة بالسياق الذي ترد فيه ، وقد بينها مصطفوي في رؤية جامعة ، فيرى ((أن الأصل الواحد في المادة : هو رؤية

في تعمّق وتحقيق في موضوع مادي أو معنوي ، ببصر أو بصيرة))[٧١] ، فقد يكون النظر في المادي المحسوس ، أو في المعنوي ، أو الى ما وراء عالم المادة ، فحينئذ لا يمكن أن يُدرك المنظور اليه بتلك الباصرة الحسية بعد أن توقفت عن العمل بسبب موت آلتها . وهو الجسد . فالباصرة البدنية الظاهرية تفنى بموت البدن[٧٢] ، وهذا ما طالعتنا به الآيات التي سبق ذكرها ، فهي تثبت أنَّ النظر يشمل المعنيين ، المادي والمعنوي

اللافت في المقام هو التماسك بين الرؤيا والنظر في طلب موسى عليه السلام ، فقوله : ((ولما جاء موسى لميقاتنا وكلَّمه ربُّه قال ربِّي أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فإن استقرَّ مكانه فسوف تراني فلمَّا تجلَّى ربُّه للجبل جعله دكًّا وخرَّ موسى صعقا فلمَّا أفاق قال سبحانك تبتُ إليك وأنا اول المؤمنين))[٧٣]، يشير إلى أنَّه لم يطلب تلك الرؤيا الحسية ، فهو من لوازم التجسيم ، وهو ما يتنزَّه عن طلبه أيُّ نبيٍّ مرسل ، ولاستعمال الانبياء دلالات خاصة ، فالمفردة التي تكون على لسان النبي لها دلالة أعمق من ظاهرها ، لكونه يحمل مشروعا إلهيًّا ، وليس من المعقول أن يراد من مفرداته المعاني العامة المتعارفة كليًّا ، مع ملاحظة عدم انكار أن هذه المفردات مفهومة المعنى ولكن بتأمّل ، إذ إنَّ الجامع الكلي . بين معاني المفردات التي يستعملها الانبياء والعامة موجود ، وهو ما يفسح المجال أمام التأويلات وبيان الدلالات ، ومن هنا نلاحظ أن مسألة النظر في طلب موسى " عليه السلام " من هذه الموارد التي يعتني بها الكتاب العزيز ، فـ((استعمال النظر في البصر أكثر عند العامة، وفي البصيرة أكثر عند الخاصة، قال تعالى: "وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة"[٧٤]))[٧٥]، فالنظر. كما مر بنا سابقا . هو تأمل الشيء ومعاينته . على أن لا يُنكر أنّ المعنى المتبادر الى الذهن أنَّ النظر هو التحديق بحاسة الإبصار نحو الشيء ، وهذا لا يلازمه الرؤية ابدا ، فقد يكون توجه دون رؤية ، ومن هنا فالنظر يحتمل أن يكون دون رؤية أو تدبر مع رؤية الشيء[٧٦] . ومن هنا يمكن الخلوص الى ما قرره الراغب من ان ((النظر : تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، وهو الروية. يقال: نظرت فلم

تنظر. أي: لم تتأمل ولم تترو))[٧٧]، فالإدراك متعلق بالنظر المتأمّل في استعمال الباصرة ، وهو من المعاني التي يستشفّها قارئ النص بملاحظة السياق . سابقه ولاحقه . ؛ ليتسنى له الخروج برؤية دلاليّة واضحة .

من هنا لا يمكن أن يطلب موسى المحال ، فرؤيته تعالى جهاراً من المستحيلات في ذاتها ، لذلك هي غير متحققة ، ومنتفية لانتفاء الموضوع ، ولكنه طلب الرؤية المعرفية العلمية . وهي من المعاني التي تحتملها مادتا " رأى " ، و" نظر " ، فالسياق هو ما ينبئ بذلك ، وقُدَّمت جملة قراءات للرؤية يمكنها أن تفسّر طلب موسى "عليه السلام" ، فالمراد من الرؤية هنا العلم الضروري ، وهو ما يحكم به السياق القرآني ، فله الحاكمية العليا في توجيه دلالة المفردات القرآنية الكريمة ، لا سيما اذا قلنا بمقولة ضيق اللغة[٧٨]، وإن الله تعالى يستعمل المفردات مكررة لضيق اللغة نفسها ، وليس لعدم قدرته على ايجاد مفردات جديدة لم تستعمل بعد ، ولكن لكونه بعيداً عن مبدأ الهداية الإلهيَّة التي ينادي بها القرآن الكريم ، فلا يستساغ أن يخاطبنا الله بمفردات لا معرفة لنا بدلالاتها ، ومن هنا يكون لبعض المفردات معان متعددة بحسب موردها السياقي ، ومن ذلك ما لاحظناه في مادة رأى ، فاستعمالها عند الانبياء متفاوت في دلالته ومختلف بحسب موردها ، فكانت عند موسى عليه السلام الرؤية العلمية المعرفية المعنوية ، حين طلب رؤية الله تعالى ، إذ إنَّ ((احتمال الرؤية للعلم أظهر من ان يدل عليه لاشتهاره ووضوحه . فقال الله تعالى : " لن تراني " أي لم تعلمني على هذا الوجه الذي التمستَه ، ثم اكَّد ذلك بأن أظهر في الجبل من الآيات والعجائب ما دلَّ به على أَنَّ المعرفة الضرورية في الدنيا مع التكليف وبيانه لا تجوز ، فإنَّ الحكمة تمنع منها))[٧٩]، وهذا ما يؤكده الطهراني ، إذ يرى أنَّ ((المراد بقوله " ربِّ أرني " أي عرِّفني نفسك تعريفاً جليَّاً واضحاً بإظهار آية من بعض الآيات التي تضطرُّ الخلق الى معرفتك حتى أعرفك معرفة ضروريَّة كأنّي أنظر إليك ، فقال سبحانه : لن تطيق معرفتي على هذه الطريق ولن تحتمل قوَّتك تلك الآية فإنّي أورد على الجبل آية من تلك الآيات فإن احتمل لتجلِّيه واستقرَّ فسوف تثبت أنت

لها))[٨٠]، فقوله : " ربِّ أرني أنظر اليك " انما هو ((سؤال منه عليه السلام للرؤية بمعنى العلم الضروري ... فإنَّ الله سبحانه لما خصه بما حباه من العلم به من جهة النظر في آياته ثم زاد على ذلك أن اصطفاه برسالاته وبتكليمه وهو العلم بالله من جهة السمع رجا عليه السلام أن يزيده بالعلم من جهة الرؤية وهو كمال العلم الضروري بالله ، والله خير مرجو ومأمول . فهذا هو المسؤول دون الرؤية بمعنى الابصار بالتحديق الذي يجل موسى عليه السلام ذاك النبي الكريم أن يجهل بامتناعه عليه تعالى وتقدَّس))[٨١]، ويرى مصطفوي أنَّ موسى ((بعد هذا التكلّم واحساس لذَّة المناجاة والمخاطبة اشتد {الاشتقاق}[٨٢]والتهبت حرارة اللقاء والطلب والوصل ، وخرج عن حالة الاختيار وتمالك نفسه ، و سأل الرؤية المطلقة الكاملة والوصل ، وطلب كمال اللقاء والشهود غير مقيد برؤية عين ولا متوجه الى جهة مخصوصة والى صورة ممكنة في عالمه او ممتنعة ، فقال : ربِّ أرني . فأجاب سبحانه حق ما يجاب به في ذلك المورد بقوله : لن تراني ، ومع هذا فقد استجاب سؤاله وأنجح طلبته بمقدار ما يمكن وفي حد الميسور . فقال عزَّ وجلَّ : ولكن انظر الى الجبل. فخر موسى من أول مرتبة من التجلي وصعق في مرحلة ابتدائية من اللقاء والرؤية الشهودية))[٨٣]، وهو ما يوحي بطلبه الرؤية الحسية ؛ بدليل الاجابة الحسية التي اجابه الله بها بقدر ما يناسب حاله ، وهذه القراءة فيها لطافة ، ولطافتها تتمثل بالإفادة من حركية السياق القرآني في امكانه تقديم هذه الرؤى التفسيرية .

ومن ثم فلا يمنع السياق من الرؤية الاخرى التي تقول ان المراد من الرؤية في المقام هي الرؤية الحسية ، ولكن برؤية سياقية تتماشى وتنزيه موسى " عليه السلام " من طلب المحال لنفسه دون أن تكون هناك ثمرة دلاليَّة مقنعة ، فقد رجَّح الشريف المرتضى[٨٤] أن تكون الرؤية المطلوبة هي الرؤية الحسية ، وأن موسى قد طلب أن يَرى الله تعالى حسًّا ، ولكن هذا الطلب ليس لنفسه ، وانما لقومه ، فحين لجَّ عليه القوم برؤية الله تعالى ، توجَّه الى ربِّه ليريه نفسه ، فهو على قناعة تامَّة أنَّ الاجابة بالاستحالة اذا جاءت من الله كانت حاسمة للموقف في طلب الرؤية من هؤلاء

القوم، فأخذ معه السبعين بعدما اختارهم من بين الالوف الكثيرة ، وقدَّم المرتضى جملة ادلة تقوي مذهبه في المسألة ، منها قوله تعالى : ((يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم))[٨٥]، وقوله تعالى : ((وإذا قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون))[٨٦]، وقوله تعالى : ((فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منَّا إن هي إلا فتنتك))[٨٧]وأضاف الى ذلك قرينتين ، هما : ذكر الـ" جهرة " وقوله : " أنظر إليك " ، فلفظ الجهرة لا تليق إلا برؤية البصر دون العلم ، وحملها على العلم الضروري يلازمه الاحتياج الى تقدير المحذوف في الكلام ، ويقدَّر بـ " أرني أنظر الى الآيات التي عندها أعرفك ضرورة " .

على أنَّ السياق يحتمل توجيها آخر كما يرى أحد المفسّرين ، معتمدا في رؤيته على التناسب السياقي بين الأحداث ، وربطها بسياق الموقف ، فموسى هنا أيضا طلب الرؤية الحسِّيَّة ، ولكن ليس لأجل الرؤية نفسها ، بل هو يعلم باستحالتها ، ولكنَّه طلبها حتى يؤمن قومه ، وهو ما ذهب إليه السيد محمد تقي المدرسي ، إذ يرى أنَّه قد ((كانت دعوته هذه بهدف صنع واقعة عينية تَذهبُ مثلا في الافاق ، وتتناقلها الألسن حتى تنتزع من النفوس جذور المادية ، ولذلك طلب موسى عليه السلام المستحيل))[٨٨]، ويمكن الخلوص ـ على القراءات السياقية كلها ـ إلى ((أنَّ حجاب الرؤية هو استقرار العظمة الشخصية وتمكّن الإنِّيَّة الذاتيَّة ، ولا بدَّ من اندكاكها وفنائها ، و لا يمكن أن يجتمع استقرار الجبليَّة والبقاء للإنِّيَّة مع شهوده عزَّ وجلَّ وتجلّيه تعالى))[٨٩]، فبعض النصوص لها القدرة على تقديم أكثر من دلالة ، لما يكتنفها من غموض في واقعها ، وهو ما يكون الاعتماد فيه على السياق القرآني ، وبهذا يتبيَّن أن الرؤية التي ارادها موسى تتأرجح بين الحسية والمعنوية بمختلف صورها وتشكلاتها ، وهو ما تبين لنا خلال هذه المنظومة السياقية التي قدَّمها المفسرون في رؤاهم التفسيرية المختلفة ؛ اعتمادا على السياق القرآني وما ينتجه .

أثر السياق في دلالة رؤيا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

تبقى دلالة هذه المادة محكومة بالسياق القرآني المحيط بها ، وقد استوقفني عند قوله تعالى : ((وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى * أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى))[٩٠]، لما وجدتُه بين المفسرين من اختلاف في تحديد نوع الرؤيا ، ومن ثم ما تنتجه هذه النوعية في توجيه مسار النص .

تعددت القراءات التفسيرية في دلالة الرؤيا في قوله تعالى : ((مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى)) بين الرؤية الحسية والمعنوية العلمية ، وهذه وتلك محكومتان بالسياق القرآني ، فذهب الزمخشري الى أنّ المراد هو : ((ما كذب فؤاد محمد ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام ، أي ما قال فؤاده لما رآه : لم أعرفك ، ولو قال ذلك لكان كاذبا ، لأنَّه عرفه ، يعني أنَّه رآه بعينه وعرفه بقلبه ، ولم يشك في أنَّ ما رآه حق))[٩١]، وهو ما ذهب إليه الطاهر بن عاشور ولكن برؤية أكثر لطافة معتمدا على التعالق الدلالي بين مكونات المقطع القرآني في تناسباته الدلالية ، فذهب الى أنَّ قوله : ((مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى)) تأكيد لمضمون قوله تعالى : ((فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى))[٩٢]، فإنَّه يؤذن بأنَّه بمرأى من النبي ص ... أي هو قرب حسّي وليس مجرد اتصال روحاني ، فيكون الاستفهام في قوله تعالى : ((أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى)) مستعملا في الفرض والتقدير ، أي أفستكذبونه فيما يرى بعينه كما كذبتموه فيما بلغكم عن الله)) [٩٣].

الزمخشري ومن تبعه في رؤيته هذه قد اعتمدوا على ظاهر القرآن الكريم ، وهو ما لا ينكر ، ولكن بالتفحّص في المراكز الدلالية في هذه السورة نقف على رؤية اخرى ترى أنَّ رؤيا النبي "ص" لم تكن حسِّيَّة ماديَّة قطعا ، بل كانت معنويَّة ، وهو ما يشير إليه السياق القرآني والنصوص الحافة بتلك الرؤيا ، وهو ما تمثل عن جملة من المفسرين ، فقد ذهب الطباطبائي . نظرا الى الوحدة السياقية . الى أنَّ الرؤيا هنا معنوية ، والتقدير : ما كذب الفؤاد . فؤاد النبي . النبيَّ ما رآه ، أي أن رؤية فؤاده فيما رآه رؤية صادقة ، على أنَّ ضمير الفاعل في " رأى " راجع الى الفؤاد ، والرؤية رؤيته . رؤية الفؤاد . ، وليس تقدير الكلام ما رآه بصره ، وبهذا يكون ما ذهب اليه الزمخشري ومن تبعه في غير محله ، وبعيد عن السياق ؛ إذ إنَّ ما يعطيه السياق القرآني في وحدته هنا أنَّ تأييده تعالى صدق النبي فيما يدعي من الوحي ومن رؤيته آيات ربه الكبرى ، ، ولو كان الضمير في " رأى " للنبي دون فؤاده ، لكان محصل معنى الآية الاحتجاج على صدق رؤيته باعتقاده ذلك بفؤاده ، وهو بعيد عن دأب القرآن ، وهو بخلاف ما لو رجع الضمير الى الفؤاد ، فإن محصل معناه تصديقه تعالى لفؤاده فيما رآه ، ويجري الكلام على السياق السابق الأخذ من قوله : ((مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى[٩٤]))[٩٥]، فالسياق بعيد جدا عن الرؤية البصرية الحسِّيَّة ، وهذا ما يرجّحه مصطفوي أيضا ، فيرى أنَّ هذه ((الرؤية بالشهود الروحي))[٩٦]، ومن ذلك قوله تعالى : ((لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى))[٩٧]، وقد يتبادر الى الذهن تفكّك الوحدة السياقية في هذا المقطع بورود البصر في قوله تعالى : ((ما زاغ البصر وما طغى))[٩٨]، على أن البصر هنا حسّي مادي ، وأنه من لوازم العين الجارحة ، الا أنَّ حمل البصر على الحسي هنا بعيد عن تلك الوحدة السياقية التي تحكم الآيات في كونها في غير هذا العالم ، ومن ثم ف ((المراد بالإبصار رؤيته "ص" بقلبه لا بجارحة العين ، فان المراد بهذا الابصار ما يعنيه بقوله : " ولقد رآه نزلة أخرى " المشير الى مماثلة هذه الرؤية لرؤية النزلة الاولى التي يشير إليها بقوله : " ما كذب الفؤاد ما رأى * أفتمارونه على ما يرى "))[٩٩]،

وبهذا يمكن الخلوص الى القول : إنَّ ((جملة : " ما كذب الفؤاد ما رأى " هي ... دليل على الرؤية القلبية))[١٠٠]، وأما نسبة الرؤية فـ((لا بدع في نسبة الرؤية . وهي مشاهدة العيان . الى الفؤاد فإنَّ للإنسان نوعا من الإدراك الشهودي وراء الادراك بإحدى الحواس الظاهرة والتخيل والتفكر بالقوى الباطنة كما نشاهد من أنفسنا أنَّنا نرى وليست هذه المشاهدة العيانية إبصاراً بالبصر ولا معلوماً بفكر و كذا نرى من أنفسنا أننا نسمع و نشم و نذوق و نلمس و نشاهد أننا نتخيل و نتفكر و ليست هذه الرؤية ببصر أو بشيء من الحواس الظاهرة أو الباطنة فإنا كما نشاهد مدركات كل واحدة من هذه القوى بنفس تلك القوة كذلك نشاهد إدراك كلّ منّا لمدركها وليس هذه المشاهدة بنفس تلك القوة بل بأنفسنا المعبّر عنها بالفؤاد))[١٠١].

أما متعلّق الرؤيا فكثر فيه كلام المفسّرين ، ولعلَّ أَلطف رأي هو ما قدمه البستاني؛ إذ يقول : ((ولعلَّ السرَّ الفنيَّ لإبهام الرؤية أي قوله تعالى : " ما كذب الفؤاد ما رأى " فرأى هنا مبهمة لم يُذكر بعدها ما إذا كان ذلك مرتبطاً برؤية الفؤاد لله أو برؤية البصر للملكوت ، أو برؤيته للنور. لعل السرَّ الفنيَّ يكمن في كون المرئي الذي أبهمه النص ، هو هذا التأرجح بين الامكانات المشار إليها .. أو لعل السرَّ الفنيَّ وراء ذلك أنَّ المرئي شيء لا يمكن أن يخبره القارئ لأنَّه رؤية لما وراء الحس أو الادراك البشري))[١٠٢]، وهو بهذا يقدم قراءة فيها سعة دلالية فيما يتعلق بالمرئي ، ليشمل كل ما ذكر من تقدير بعدما سكت عنه النص القرآني الكريم ، ولكنَّه لا يخرج عن الرؤية المعنوية الى غيرها مع كلّ هذه السّعة الدلالية في بيان المرئي . وما يلاحظ في هذه السورة أنَّ مادة " رأى " قد استعملت ست مرات ، أربع منها قد اختصت بالنبي الاكرم وما رآه من جنبات إلهيَّة قد اختصَّها اللهُ به ، وواحدة كانت لمشركي قريش ومن يقف معهم ضدَّ النبي الأكرم " ص " ، وكأن هذه المقابلة بالرؤى تشير الى تلك المكانة التي حظي بها النبي الاكرم وذلك السمو والرفعة ، في قبال تلك الرؤية التي كان عليها اهل مكة ، من رؤيتهم الاصنام التي لا قيمة لها ، وهي لا تضر ولا تنفع، ومن جانب اخر يمكن القول ان هذه الرؤية التي كان عليها اهل مكة هي رؤية بصرية

مقيدة ومحددة ، بتلك الاحجار ، وهي بطبيعتها لا تصل الى ما رآه النبي الاكرم من ظواهر كونية ذات الفاعلية الضخمة مقابل رؤيتهم تلك الاحجار الخالية من اية فاعلية ، فضلا عن حذف المتعلق في رؤية النبي "ص" وابرازه بالاسم في رؤية مشركي قريش ، وهو من السخرية برؤاهم ! [١٠٣]". أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى " .

التغاير الدلالي في صيغة " ألم تر " في ضوء السياق القرآني

هناك تراكيب ثابتة جاءت في سياقات مختلفة ، ولكنها أعطت دلالة تغاير مثيلاتها في جامعها المشترك ، وفي خصائصها الدلالية ، وهو ما نلاحظه في صيغة " ألم ترَ " التي جاءت في سياقات خطابية فكرية ، وهي من الآليَّات القرآنية في توجيه النبي الأكرم الى تلك الأُمم السابقة للإفادة منها ، بالوقوف على أحوال تلك الأُمم ، ومن ذلك قوله تعالى : ((ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون))[١٠٤]فـ((" ألم تر " ألم تعلم، لأن الرؤية مشتركة بين العلم - وهي رؤية القلب - وبين رؤية القلب))[١٠٥]، والى ذلك ذهب الطباطبائي فقال إنَّ : ((الرؤية هاهنا بمعنى العلم، عبر بذلك لدعوى ظهوره بحيث يعد فيه العلم رؤية فهو كقوله تعالى: "أ لم تر أن الله خلق السموات و الأرض بالحق"[١٠٦]، و قوله تعالى : " أ لم تر كيف خلق الله سبع سموات طباقا"[١٠٧]))[١٠٨]، ومنه قوله تعالى ايضا : ((ألم تر إلى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون))[١٠٩]يشير السياق الى أن ((معنى " ألم تر " ألم تعلم))[١١٠]، ويرى الطاهر بن عاشور أنَّ ((الرؤية بصريَّة بدليل تعديتها بحرف إلى : الذي يتعدّى به فعل النَّظر))[١١١]، معتمدا في ذلك على القرائن النحوية التي تقضي بدلالة الرؤية هنا بصرية ، وهي " الى" وظاهر قول الطاهر بن عاشور أنه اعتمد على قول صاحب المفردات الذي يرى أَنَّه ((إذا عدّي رأيت بإلى اقتضى معنى النظر المؤدي إلى الاعتبار، نحو : { ألم تر إلى ربك }[١١٢]))[١١٣]، ولكنَّه لم يرد من هذا النظر الحسِّي ، بل كان يرمي الى التأمل الفكري ، فليس كلُّ نظر يحمل على الحس ، وانما يرجع الى السياق

الحاكم على تحديد دلالة المفردات ؛ ولاسيَّما أنَّ مادة نظر في اللغة تعني : ((تأمل الشيء ومعاينته))[١١٤]، ومن ثم فيراد بالنظر التأمل[١١٥]، والتأمل في قول الطاهر يحيلنا على الترادف بين النظر والرؤية وهو ما عناه في قوله : ((الرؤية بصرية بدليل تعديتها بحرف إلى : الذي يتعدى به فعل النظر))[١١٦]، فقوله الذي يتعدى به فعل النظر هو ما جعله يذهب الى أن الرؤية بصرية هنا ، والغريب أنَّ هناك ما يماثل هذه الآية ، ولكنه ذهب الى أنَّها ليست رؤية حسّية وإن نزلت منزلتها ، وهو قوله تعالى : ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ))[١١٧]، إذ يرى أنَّ ((جملة يشترون حالية فهي قيْد لجملة { ألم تر} ، وحالة اشترائهم الضلالة وإن كانت غير مشاهدة بالبصر فقد نزّلت منزلة المشاهَد المرئيّ ، لأنّ شهرة الشيء وتحقّقه تجعله بمنزلة المَرْئيّ))[١١٨]، في قوله تعالى : ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ))[١١٩]، فالتعدي هنا أيضا قد حصل بإلى ، ولكن اختلف مورد النظر بحسب السياق الذي رآه الطاهر بن عاشور ، وإن كان المورد الكلي هو مورد فكري علمي ، بعيد عن الحسِّ والمادّة ؛ ولذلك فالتأمل في كلمات بعض المفسّرين السِّياقيّين ، يقضي بأن التعدِّي بإلى غير ملازم للرؤية البصريَّة دائما ، إذ ((الصحيح أنَّ النَّظر لا يفيد الرؤية وإنَّما حقيقته < النظر > تحديق الجارحة الصحيحة نحو المرئي طلبا لرؤيته ولو افاد الرؤية ، لما جعل غاية لنفسه، الا تراهم يقولون: ما زلت انظر اليه ولا يقولون ما زلت أراه حتى رأيته، ولأنَّهم يثبتون النظر وينفون الرؤية يقولون: نظرت إليه فلم أره ولا يقولون رأيته فلم أرَه))[١٢٠]، وإلى الرؤية العلمية والحسية معاً ذهب الزمخشري، فيرى أنَّ (({ أَلَمْ تَرَ } من رؤية القلب ، وعدِّي بإلى ، على معنى : ألم ينته علمك إليهم؟ أو بمعنى : ألم تنظر إليهم ؟))[١٢١]، والنظر في هذا السياق لا يخرج عن المادي المتعارف عليه وإن كان مشتملاً على التأمل ، وما ذهب إليه الطوسي والزمخشري . في قوله إنَّه بمعنى العلم . هو المناسب للسياق القرآني ، فالسياق هو سياق علم وتفكّر ، وهو ما يشير إليه النصُّ قائلا : ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ

الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا))[١٢٢]، فاشتراء الضلالة ، والضلال عن السبيل إنَّما هو نتيجة تفكُّر فضلا عن قوله تعالى : " والله أعلم بأعدائكم " والمعطوف على قوله : ((ألم ترَ الى الذين)) ، فهو سياق علمي صريح ، والتعاطف يقتضي التَّعالق بين المعطوف والمعطوف عليه ، فهو وإن كان قد حَمل الرؤيةَ على البصرية من المعرفة والعلم ، ولكنَّها معرفة حسيَّة يبتعد عنها سياق الآيتين كثيرا .

ومن ذلك قوله تعالى : ((أَ لَمْ تَرَ إِلى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكى مَن يَشاءُ وَ لا يُظلَمُونَ فَتِيلاً * انظرْ كَيْف يَفْتَرُونَ عَلى اللَّهِ الْكَذِب وَ كَفَى بِهِ إِثْماً مُّبِيناً))[١٢٣]، فـ(("ألم تر " معناه ألم تعلم .و قيل : ألم تخبر ، و هو سؤال على وجه الإعلام ، وتأويله : اعلم قصتهم .ألم ينته علمك " إلى " هؤلاء " الذين يزكون أنفسهم " ، أي يمدحونها ، و يصفونها بالزكاة و الطهارة بأن يقولوا نحن أزكياء ، و قيل : هو تزكية بعضهم بعضا عن ابن مسعود))[١٢٤]، ومنه قوله ايضا : ((أَ لَمْ تَرَ إِلى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْك وَ مَا أُنزِلَ مِن قَبْلِك يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلى الطغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَ يُرِيدُ الشيْطنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضلَلا بَعِيداً)[١٢٥]، إذ يرى الطبرسي أن الرؤية هنا ليست بصرية ؛ لكون النص يتعامل مع رؤية سابقة تتعلق بالأقوام السابقين الذين يريد الله ان يجعل منهم صورة ليفيد منها رسوله الكريم ص ، إذ ((لما أمر الله أولي الأمر بالحكم و العدل و أمر المسلمين بطاعتهم وصل ذلك بذكر المنافقين الذين لا يرضون بحكم الله و رسوله فقال « أ لم تر » أي أ لم تعلم و قيل أنه تعجب منه أي أ لم تتعجب من صنيع هؤلاء و قيل ألم ينته علمك « إلى » هؤلاء « الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك » من القرآن « و ما أنزل من قبلك » من التوراة و الإنجيل...))[١٢٦]، فالطبرسي هنا قدم اكثر من قراءة لمادة رأى بما يستوعبه السياق القرآني الكريم ، فهو احتمل ثلاث دلالات هي : العلم ، والتعجب ، والانتهاء الى العلم ، وهي كلها محتملة ، ولكن هناك تقديم للعلم بمناسبة السياق القرآني لهذه الدلالة ، وهي المرجَّحة قطعا .

ومن ذلك قوله تعالى : ((أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السمَواتِ وَ الأَرْض بِالحْقّ إِن يَشأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بخَلْق جَدِيد))[١٢٧]، ويرى الطبرسي أنَّ ((« أ لم تر » أي ألم تعلم ؛ لأن الرؤية قد تكون بمعنى العلم كما تكون بمعنى الإدراك للبصر ، و هاهنا لا يمكن أن يكون بمعنى الرؤية بالبصر و الخطاب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) و المراد به الأمة « أن الله خلق السموات و الأرض » على ما تقتضيه الحكمة و الخلق فعل الشيء على تقدير و ترتيب « بالحق » أي بقوله الحق و قيل أراد للحق أي للغرض الصحيح و الأمر الحق و هو الدين و العبادة أي ليعبدوه فيستحقوا به الثواب))[١٢٨]، ويرى الزمخشري أنَّ هذه الصيغة أخذت تستعمل للتعجب حتى أصبحت كالمثل في ورودها وانطبقاها [١٢٩]

قال تعالى: ((إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا))[١٣٠]. يرى الشيخ الطوسي أنَّ قوله : ((" بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله " يعني بما أعلمك الله في كتابه))[١٣١]، وهو بذلك يجعل الرؤية هنا علمية ، وهي من الامور الفكرية التي تتعلق بالعقل ، وهو ما يساير السياق القرآني بحسب رؤية الشيخ الطوسي ، فإراءة الله تعني التعليم ، وهو ما يشير إليه صدر الآية المباركة .

ورجَّح هذا القول الرازي ، فذهب إليه ، قائلا : ((قال أبو علي الفارسي : قوله { أَرَاكَ الله } إما أن يكون منقولاً بالهمزة من رأيت التي يراد بها رؤية البصر ، أو من رأيت التي تتعدى إلى المفعولين ، أو من رأيت التي يراد بها الاعتقاد ، والأول باطل لأن الحكم في الحادثة لا يرى بالبصر ، والثاني أيضاً باطل لأنه يلزم أن يتعدى إلى ثلاثة لا إلى المفعولين بسبب التعدية ، ومعلوم أن هذا اللفظ لم يتعد إلا إلى مفعولين أحدهما : الكاف التي هي للخطاب ، والآخر المفعول المقدر ، وتقديره : بما أراكه الله ، ولما بطل القسمان بقي الثالث ، وهو أن يكون المراد منه رأيت بمعنى الاعتقاد .

اعلم أنه ثبت بما قدمنا أن قوله { بِمَا أَرَاكَ الله } معناه بما أعلمك الله ، وسمي ذلك العلم بالرؤية لأن العلم اليقيني المبرأ عن جهات الريب يكون جارياً مجرى الرؤية في القوة))[١٣٢].

في حين يرى الزمخشري أنَّ قوله : (({ بِمَا أَرَاكَ الله } بما عرَّفك وأوحى به إليك))[١٣٣]، وتبعه في ذلك البيضاوي في تفسيره : (({ بِمَا أَرَاكَ الله } بما عرفك الله وأوحى به إليك وليس من الرؤية بمعنى العلم وإلا لاستدعى ثلاثة مفاعيل))[١٣٤]، وبه قال ابن عجيبة : ((قلت : أرى ، هنا عرفانية ، لا علمية . فلذلك لم تتعد إلى ثلاثة))[١٣٥]، والغريب هو أنَّ كلامه يستلزم العلم وليس المعرفة البصرية ، وهو ما يدل عليه قوله : (({ أراك } أي : عَرَّفك { الله } بالوحي ، أو بالاجتهاد ، ففيه دليل على إثبات القياس))[١٣٦]، فالواقع يثبت ان النبي الاكرم كان يتلقى علومه ومعارفه عن طريق العلم وليس البصر فقط ، وهو ما صرَّح به ابن عجيبة بأنَّ المعرفة تكون بالوحي او بالاجتهاد ، والاجتهاد لا يكون الا بالعلم .

وذهب الطباطبائي الى أنَّ الرؤية هنا تحتمل العلمية والعرفانية ، وهو ما يحتمله السياق القرآني ، قال : ((فالمراد بالإراءة في قوله " لتحكم بين الناس بما أراك الله " إيجاد الرأي و تعريف الحكم لا تعليم الأحكام و الشرائع كما احتمله بعضهم . ومضمون الآية على ما يعطيه السياق أنَّ الله أنزل إليك الكتاب و علمك أحكامه و شرائعه و حكمه لتضيف إليها ما أوجد لك من الرأي و عرفك من الحكم فتحكم بين الناس ، و ترفع بذلك اختلافاتهم))[١٣٧]. فالاراءة هنا تتجه الى معناها بلحاظين ، هما :

١. إنَّ الله عرَّف نبيَّه الكريم محمدا " ص " الحكم ؛ ليحكم بين الناس اعتمادا على تلك المعرفة التي وهبها ، وليس معنى الآية انه يُعلِّم او يُعرِّف بالحكم بين المتخاصمين، بل هو لديه القواعد الكلية التي تكون هذه الخصومات من مصاديقها التي تندرج تحتها ، وهذا هو معنى المعرفة التي جاء بها لفظ " أراك " ، وهنا تكتفي بمفعول واحد بحسب الصناعة النحوية .

٢. إنَّه قد علّم نبيه كل ما من شأنه أن يكون مفتاحا لتسيير الامة في كل شؤونها ؛ فهو الحاكي عن ذلك الغيب المطلق والمعلم الاوحد ، وهذا لا يتوقف عند المعرفة الصورية التي لا تتعدى الظاهر الحسي او المعنوي المقيَّد بقيود الماديات ، بل يتجاوزه الى مرحلة المظهرية الاندكاكية التامة بين الشاخص ومشخوصه ، وهو لا يكون الا بمعنى العلم ، لكونه يتعدى الى ما وراء المعرفة ، ولذلك نحتاج هنا الى تقدير مفعول ثاني ، يمكن تقديره بـ : بما أراك اللهُ الحقائقَ .

في حين قدّم الطاهر بن عاشور رؤية لطيفة اعتمد فيها على قول الزمخشري في شقِّه الاول ، وتوسَّع في قراءته اعتمادا على السياق القرآني ، قال : ((وقوله : { بما أراك الله } الباء للآلة جعل ما أراه الله إيّاه بمنزلة آلة للحكم لأنّه وسيلة إلى مصادفة العدل والحقّ ونفي الجور ، إذ لا يحتمل علم الله الخطأ . والرؤية في قوله : { أراك الله } عرفانية ، وحقيقتها الرؤية البصرية ، فأطلقت على ما يدرك بوجه اليقين لمشابهته الشيء المشاهد . والرؤية البصرية تنصب مفعولا واحداً فإذ أدخلت عليها همزة التعدية نصبت مفعولين كما هنا ، وقد حذف المفعول الثاني لأنّه ضمير الموصول ، فأغنى عنه الموصول ، وهو حذف كثير ، والتقدير : بما أراكَه الله . فكلّ ما جعله الله حقّا في كتابه فقد أمر بالحكم به بين الناس ، وليس المراد أنّه يُعلمه الحقّ في جانب شخص معيّن بأن يقول له : إن فلاناً على الحقّ ، لأنّ هذا لا يلزم اطّراده ، ولأنّه لا يُلفى مدلولا لجميع آيات القرآن وإنْ صلح الحمل عليه في مثل هذه الآية ، بل المراد أنّه أنزل عليه الكتاب ليحكم بالطرق والقضايا الدالّة على وصف الأحوال التي يتحقّق بها العدل فيحكم بين الناس على حسب ذلك ، بأن تندرج جزئيات أحوالهم عند التقاضي تحت الأوصاف الكلية المبيّنة في الكتاب ، مثل قوله تعالى : { وما جعل أدعياءكم أبناءكم }[١٣٨] ، فقد أبطل حكم التبنّي الذي كان في الجاهلية ، فأعلَمنا أنّ قَول الرجل لمن ليس ولده : هذا ولدي ، لا يجعل للمنسوب حقّاً في ميراثه . ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطىء في إدراج الجزئيات تحت كليّاتها ، وقد يعرض الخطأ لغيره))[١٣٩] .

أثر السياق في توجيه مادة رأى في الخطاب البشري

تواجدت مادة رأى في الخطابات البشرية بصورة لافتة للنظر ، وكانت صورة واقعية تمثل حقيقة ما هم عليه ، سواء في ذلك تلك الحقيقة الباطنية ام الخارجية، وقد امتازت هذه الرؤية من بين الرؤيتين الالهية والبوية بانها قد تكون مصيبة او مخطئة تبعا لمواردها ومقتضيات توظيفها ، وهو ما كشف عنه السياق القرآني الكريم بصورة قد لا تتوافر مكوناتها في اي نص لغوي آخر ، والخطأ والصواب المعبر عنه انما يكون تبعا لموارد الواقع الخارجي وإلا فاذا ما قيس على النفس الانسانية فانه يكون مصيبا بواقعه ، فالمرء انما يتكلم ما يحس فيه ، وسنقف عند بعض النماذج القرآنية التي نحتاج فيها الى السياق القرآني لبيان حقيقة مادة رأى ومتعلقاتها .

أثر السياق في بيان دلالة رؤية فرعون

قال سبحانه ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ * وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ * وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ * يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ))[١٤٠] .

ينقسم الخطاب . هنا . الى أربعة محاور رئيسة ، تشكّل بمجملها الرؤية الكليَّة لموقف مُهم أراد الله إبرازه في قصَّة موسى عليه السلام ، فقدّم قوله . سبحانه .

ليكون مدخلا لبيان رؤية موسى وموقف المؤمن وفرعون ؛ لكونهما الطرفين المهمين في الرؤية هنا ، فبعدما بيَّن فرعون أنَّ قتل موسى هو الأنسب للمقام ، ردَّه موسى مستعيذا بربِّه سبحانه ممن لا يؤمن بيوم الحساب ، وبعد ذلك يطالعنا قول مؤمن آل فرعون معقّبا على كلام موسى عليه السلام : بأنَ العقل يحكم باتباعه ؛ لكونه لا يخرج عن الكذب والصدق ، فإن كان صادقا كسبنا ما يعدنا به ، وان كان كاذبا لم نخسر شيئا ، ((فلا أقل من أن يصيبكم بعضه ، وفيه مبالغة في التحذير وإظهار للإنصاف وعدم التعصب ، ولذلك قدم كونه كاذباً أو يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده ، كأنه خوفهم بما هو أظهر احتمالاً عندهم))[١٤١]، ولكن سرعان ما يطالعنا النص برؤية فرعون معترضا عليه ، قاطعا كلامه ، بانَّ الرؤية ما يراها هو في موسى ، وان ما تريدونه ليس بموجود أبداً ؛ ولذلك ((تفطَّن فرعون إلى أنَّه المعرَّض به في خطاب الرجل المؤمن قومَه فقاطعه كلامَه وبيَّن سبب عزمه على قتل موسى عليه السلام بأنه ما عرض عليهم ذلك إلا لأنه لا يرى نفعاً إلا في قتل موسى ولا يستصوب غير ذلك ويرى ذلك هو سبيل الرشاد ، وكأنه أراد لا يترك لنصيحة مؤمنهم مدخلاً إلى نفوس مَلَئِه خيفة أن يتأثرُوا بنصحه فلا يساعدوا فرعون على قتل موسى . ولكون كلام فرعون صدر مصدر المقاطعة لكلام المؤمن جاء فعل قولِ فرعون مَفْصُولاً غيرَ معطوف وهي طريقة حكاية المقاولات والمحاورة . ومعنى : { مَا أُرِيكُم } : ما أجعلكم رَائِين إلا ما أراه لنفسي ، أي ما أشير عليكم بأن تعتقدوا إلا ما أعتقده ، فالرؤية علمية ، أي لا أشير إلا بما هو معتقَدي))[١٤٢].

فالسياق يبيّن أنَّ الرؤية التي أرادها فرعون هي علميّة ؛ إذ إن السياق كلَّه يعتمد على الاستنتاج العقلي ، والرؤى المستخلصة من موقفهم تجاه فرعون ، وهذا قد لا يتأتّى عبر الرؤية الحسية بقدر ما يتوقف على الرؤية العلمية التي تعانق الفكر ... ومن ثم فإنَّ فرعون أعاد ما هو مقتنع به مرة اخرى ، ولكن بأسلوب مختلف ؛ محاولا تمويه المتلقّين ، وصرف نظرهم عن قول مؤمن آل فرعون ، وأيضا عن ثبات موسى عليه السلام ، فلذلك اعاد قناعته بقوله : ((قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى

وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ)) ، فهو تكرار لقوله : ((وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ)) ، ولكن هذا التكرار بالمعنى له وجهه ؛ فهو لم يشأ إعادة النص كما هو وإنَّما قدَّم خلاصة رأيه ، ولعلَّ مردَّ ذلك الى عدة أُمور ، يمكن بيانها بما يأتي ، وهي :

١ . أراد بذلك الإيجاز ؛ وهي طريقة فنيَّة معروفة في القران الكريم ، وعليها جملة من الآيات القرآنية التي سارت على هذا المنهج في بيان الاقوال السابقة ، حتى لا يعاد الامر مرة اخرى دون فائدة يلجأ صاحب النص الى التعويض عنه بما يجعل المتلقي فاهماً مراده ، وهو ما يطلق عليه بالاقتصاد اللغوي كما عبَّر عن ذلك تمام حسَّان [١٤٣] .

٢. يشير السياق الى أنَّ فرعون كان قاصدا كلَّ مفردة يقولها ؛ لأنه في معركة وجود ؛ إمَّا أن يكون أو لا ، ولأن كلام مؤمن آل فرعون كان مقنعاً لمن حولهم ؛ ارتاب فرعون فاعترضه ، وحاول تمويه الموجودين فقدَّم رؤيته بخلاصة ، تلك الرؤية التي قد غابت عن أذهان بعض المتواجدين ، أو أنَّها تشكِّل بداية حديث إلى من كانوا حديثي الحضور في تلك الجلسة أو الاجتماع أو الدعوة ، ومن ثم فإنَّ حذف المتعلّق في كلام فرعون كان مقصودا ، وذلك من أجل تمويه المتلقّين ، ولاسيَّما أنه ذيَّل كلامه بـ((وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ)) ، محاولا بهذه الآلية اقناع المتلقي بصحَّة رؤيته ، ((أي طريق الصواب المطابقة للواقع يريد أنه على يقين مما يهدي إليه قومه من الطريق و هي مع كونها معلومة له مطابقة للواقع، و هذا كان تمويها منه و تجلدا))[١٤٤]، وما يدعم هذا الرأي هو الصبغة التي غطى بها خطابه في بداية وعيده ، فقال : ((إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ))[١٤٥]، فالنظر الى التقابل الذي رمى إليه فرعون من قوليه خوفه تبدل دين قومه أو اظهار الفساد وبين هدايته الى سبيل الرشاد ، يصوّر نفسه المصلحَ المخلصَ ، ولذلك عقَّب كلامه بهدايته قومه الى سبيل الرشاد ، فضلا عن أنَّ فرعون . كما يرى صاحب البحر . كان في وضع الملك المرتاب في أمره ، فهو لم يعد ذلك الحاكم المسيطر على زمام الامور ، ولذلك تكلَّم مؤمن ال فرعون في حضرته ، دونما خوف ، وما يدل على ذلك أمران ، هما[١٤٦]:

أ . يخاف إن همَّ بقتله أن يعاجل بالهلاك . وقوله : { وليدع ربه } : شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه ، كان قوله : { ذروني أقتل موسى } تمويهاً على قومه وإيهاماً أنهم هم الذين يكفونه ، وما كان يكفه إلا ما في نفسه من هول الفزع . وقال ابن عطية : الظاهر من أمر فرعون أنه لما بهرت آيات موسى انهدَّ ركنه واضطربت معتقدات أصحابه ، ولم يفقد منهم من يجاذبه الخلاف في أمره ، وذلك بين من غير ما موضع في قصتهما ، وفي ذلك على هذا دليلان : أحدهما : قوله { ذروني } ، فليست هذه من ألفاظ الجبابرة المتمكنين من إنفاذ أوامرهم.

ب . في مقالة المؤمن وما صدع به ، وأن مكاشفته لفرعون خير من ستره ، وحكمه بنبوة موسى أظهر من تقريبه في أمره . وأما فرعون ، فإنه نحا إلى المخرقة والاضطراب والتعاطي ، ومن ذلك قوله : { ذروني أقتل موسى وليدع ربه } : أي إني لا أبالي من رب موسى ، ثم رجع إلى قومه يريهم النصيحة والخيانة لهم ، فقال : { إني أخاف أن يبدل دينكم } ، والدين : السلطان .

٣. كان وعيدا من فرعون ، وقد شكَّلت هذه الإعادة قناعة لا محيص عنها ؛ ليكون البطش بمن يخالفها ، معتقدا صواب بمنهجه ، وبذلك فمن يخالفه يكون مخطئا ؛ مستحقا العذاب والعقوبة ، لذلك عقب قوله بـ ((وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ)) ، الذي يراه هو لا غيره .

وبهذا البيان يتضح لنا أن الرؤية هنا جاءت علمية فكرية ؛ لأنها تتعكز على محور مهم هو العقيدة ، وهي من الامور القلبية التي تحتاج الى الفكر ، وهو ما تكفل به السياق القرآني مبينا حقيقته ، مبرزا كل ما يتعلق به من ملابسات تحيطه .

أثر السياق في بيان حقيقة رؤية البشر " قوما نوح ويوسف انموذجا "

للقرائن النصيَّة أثر كبير في بيان دلالة النص القرآني ، لاسيَّما في تلك المفردات التي شُحنت بعمق دلالي ، فحملت أكثر من معنى ؛ فيكون السياق القرآني هو الحكم في بيان دلالة هذه المفردات ، ومنها ما يطالعنا به القرآن الكريم في استعمال مادة رأى على لسان البشر ممن ليسوا بأنبياء ، فترى هذه المفردة تتأقلم مع محيطها بسعة

دلالية عجيبة ، وهي حاكية عن عالمهم الباطني ، يكشف عنها السياق القرآني عبر منظومة لغوية متماسكة ، وهذا ما سنقف عنده في محور البحث هنا .

قال تعالى : ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ * وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ))[١٤٧] .

الرؤية هنا جاءت على وفق التقابل الدلالي والواقعي المستلزم التضاد بين رؤيتين متقابلتين ، الاولى تتعكَّز على قطب الرؤية البشرية المقيَّدة بأنواع القيود المادية التي تتوافر في طبيعة البشر ، وهي ما تتمثل بـ :

١. مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا

٢. وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ

٣. وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ

فهذه الرؤى هي عبارة عن حجج وقناعات قد تمسَّك بها من وقف ضد نوح عليه السلام ، وقد توزعت هذه الرؤى . بحسب سياقها . بين الحسِّيَّة والمعنويَّة ؛ نظرا الى حالهم وما يناسبها . والملاحظ أنَّ الرؤى الحسِّيَّة . هنا . هي أكثر ما اعتمدوا عليه في حجَّتهم ، ولذلك ابتعدوا عن الطريق السليم ، فطبيعة التمسك بالظواهر المادية دون الالتفات الى العالم الغيبي تبعد المتلقي عن التفكر بالغيب أو التفكر بالأمور المعنوية العلمية ، ((الحجة بجميع أجزائها مبنية على إنكار ما وراء الحس ... و لذلك كرَّروا فيه قولهم: ما نراك و نرى))[١٤٨] ، واعتمادهم على المحسوس جعلهم يبتعدون عن الصواب ، ((ومن أجل ذلك أخطأوا الاستدلال فقالوا : { ما نراك إلاّ بشراً مثلنا} فأسندوا الاستدلال إلى الرؤية . والرؤية هنا رؤية العين لأنّهم جعلوا استدلالهم

ضرورياً من المحسوس من أحوال الأجسام ، أي ما نراك غير إنسان ، وهو مماثل للنّاس لا يزيد عليهم جوارح أو قوائم زائدة))[١٤٩]، فكان موقفهم من دعوة نوح " عليه السلام " أنْ ((بادروه بالردّ دون أن يفكّروا في أنفسهم فيختاروا ما هو أصلح لهم))[١٥٠]، وهذا ما نتج عنه ابتعادهم عن الواقع الصحيح ؛ فضلّوا عن الطريق المستقيم بابتعادهم عن منهج نوح السماوي ، لأنهم ابتعدوا عن التفكير بالعقل ، وتمسَّكوا بالظاهر المادي الذي لا يغني عن الحقيقة الكبرى شيئا ، ولذلك كان يطلب منهم التفكّر بالعلم ، وهو ما يشير اليه قوله تعالى : ((أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ))[١٥١]، دون جدوى ، فالرؤية هنا معنوية بحكم السياق القرآني ، وهي أبعد عن الحسّية ؛ لما يستتبعها من لوازم لا تناسب مقام الخطاب الذي يريده نوح " عليه السلام " ، ولذلك جاءت الرؤية الثانية التي رآها نوح رداً على تلك الرؤية البشرية ، فالنبي نوح في بداية الأمر يرى زيفهم وضلالهم ، ولذلك جاءهم بديانة إلهيَّة تبيّن لهم الحق من الباطل ، ولذا لم يبدأهم برؤيته المباشرة ، وانما اكتفى بدعوتهم ، وهي تمثل الرؤية الالهيَّة ، ولكن بعدما كذبوه ، كما هو واضح من رؤيتهم حينها جاء ردُّه : ((وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ)) ، تلك الرؤية المعنوية العلمية كانت نتيجة تفكّر نوح " عليه السلام".

قال سبحانه : ((وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ * وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ * فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ * قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ * وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ))[١٥٢] ، يحيلنا السياق القرآني على سؤال يتبادر الى الذهن، وهو: لماذا لم يقل : (ألا تعلمون أنّي أُوفي الكيل...) ؟

تناسق السياق القرآني يبعد هذا التبادر ؛ لأنَّه لا يستقيم مع المعنى المطلوب ، فهم ربَّما ليست لديهم تلك الضوابط اليقينية التي تجعلهم يثقون بالعلم ، ولكن حين

رأوه بأعينهم فذلك كان اكثر صدقا عندهم ، وهذا ما يناسب حالهم التي هم عليها ، فقد كانت الأمور الظاهرية هي التي تستحوذ على نفوسهم ؛ لذلك قال لهم يوسف : " أَلَا تَرَوْنَ " وهو يريد بذلك رؤيتهم الكيل فعلاً وحقيقة من خلال ما يشاهدونه بأعينهم؛ لمعرفته باستئناسهم بالمحسوسات ، وأنَّهم بهذا الخطاب يكونون أكثر تصديقا ! ،

وهذا القول لا يبعد الرأي الذي يذهب الى أنَّ " ترون " يمكن أن تكون فكرية معنوية ، وهي بمعنى تعرفون ، فقد رأى الشيخ الطوسي أنَّ المعنى هو ((فقال أليس قد عرفتم عدلي وإيفائي الكيل من غير بخس له. والوفاء تمام الأمر على ما يوجبه الحق ، ويكون ذلك في الكيل ، وفي الوزن ، وفي الذرع ، وفي العد ، وفي العقد))[١٥٣]، وهو ما يسمح به السياق القرآني ، وهو سياق معنوي فكري يتعلق بالاستنتاجات التي يقرها العقل لا غيره ، لكونه يحيل الامر على التفكّر ، ومنه يتوصلون الى قناعتهم بقول يوسف ، وهو . بذلك . يريد أن ((يرغّبهم في نفسهم آخراً ، ويؤنسهم ويستميلهم))[١٥٤]، مريدا بذلك ايضا تمويههم حتى لا يعرفوه ، وقد حاول يوسف أن يؤكد لهم ما أثبته لنفسه من خلال بعض التوكيدات التي استعملها ، وهي : التوكيد بإنَّ المشبَّهة بالفعل ((إنّي أُوفي الكيل)) ، وبالجملة الاسمية المُصَدرة بضمير المتكلم في قوله : ((وأنا خير المنزلين)) ، حتى يستنتجوا صحَّة قوله ومدَّعاه .

وفي القصة ذاتها يطالعنا محور المراودة ، وتكون مادة رأى هي النقطة الابرز في هذا المحور ، فتتشكل بذلك دائرة دلالية تربط بين يوسف وزوجة العزيز من جهة وبين يوسف واصحاب القرار من جهة اخرى ، وبين زوجة العزيز ونساء مصر من جه ، وهذا ما يمكن أن يلاحظ في قوله تعالى : ((وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ * وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ

فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ * وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ * قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ * فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ))[١٥٥].

جاءت مادة " رأى " في هذا المقطع القرآني بصور فعلية تعددت في دلالتها وفي اسنادها الى متعلقاتها ، ولكن الجامع المشترك في هذه الرؤى واحد ، ولكنه اختلف تبعا لموارده السياقية التي جاء فيها ، وكان حاكيا عن واقع خارجي ، فكان الهدف الرئيس والغاية الاساسية من هذا التعدد هو براءة يوسف من كيد زليخا وتهمتها ، فما انجاه الا الرؤية بتحققها الواقعي ، وهو ما تمثل في محوري الرؤية في الجزء الاول من المقطع القرآني في قوله تعالى : ((وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ .....فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ)) ، وكانت هذه الرؤية بلحاظين مختلفين ، تبعا لقابلية صاحب الخطاب وسعة مداركه وما يناسبها ، فكانت رؤية يوسف عليه السلام ((هنا عِلمية لأن البرهان من المعاني التي لا ترى بالبصر))[١٥٦]، وهي تتعلق بالفكر والبعد العقائدي ، وهذا ما يعطيه السياق ، وهو المناسب له فقط ، في حين نلاحظ أنَّ رؤية عزيز مصر كانت حسيَّة مادية ، ولعل السبب وراء ذلك أنَّ براءة يوسف . في نظرهم . لا تكون الا بشيء مادي محسوس ، فضلا عن عدم ايمان عزيز مصر بالغيبيات التي يؤمن بها يوسف عليه السلام ، فهو

لم يصدّقه بداية الأمَّر ، علما ان يوسف قد أخبره بأن المعتدي هو زوجه ، ولكن لم ينفع ذلك شيئا إلا بعدما وقع الدليل الحسّي بأيديهم ، وهو ما كان حاضرا في قميص يوسف عليه السلام ، في حين ان ابتعاد يوسف عن زليخا انما كان بأمر تفكري علمي عقائدي غيبي ؛ وبهذا يكون الفعل " رأى " قد استعمل في سياقين مختلفين ، فجاءت دلالته مختلفة في كل استعمال .

وأما الرؤية في قوله تعالى : ((ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ)) فإنها تحتمل العلمية والحسية ، وهو ما يسمح به السياق القرآني ؛ اعتمادا على القرائن التي تكتنف المفردة ؛ فالعلامة التي اعتمدوا عليها في الحكم على صحة دعوى يوسف هي قدُّ قميصِه من الخلف ، وهي آية واحدة ، ولكن . كما هو باطن السياق . بعدما رجعوا الى سيرة يوسف وما كانوا يرونه منه تأكدوا أنه بريء من تلك التهمة ، ولكن حفظا لماء الوجه ، وبحكم القوي جعلوه في السجن الذي دعا ربَّه إليه

وأما رمي نساء مصر امرأةَ العزيز بالضلال فقد ارتفع برؤيتهن يوسف ، وبإعجابهن به ، فبعدما رمنها بالضلال . وهي رؤية علمية . جعلتهن يخضعن بالحس ، حين أمرت يوسف بالخروج عليهن ، ((رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ * قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ))[١٥٧]، وهو ما أقرب ما يكون الى الدليلية لبيان عذرها أمام زوجها عزيز مصر في مراودتها يوسف بعدما يرى العزيز اكبار النساء اياه والاعجاب به ، ومن ثم لا يخرج زوجه عن النفس العام للنساء . وهذا كله باستعمال الفعل رأى ؛ لما له من عمق دلالي يجعله حاضرا وبقوة في تقديم المعاني القرآنية .

الخـــاتمه

شكَّلت مادة رأى معلماً مهمَّاً في النَّصِّ القرآني ، وكانت ذات أثر كبير في ربط مكوناته دلاليًّا ، وقد تبيَّن لنا أنَّ القرآن الكريم قد استعمل هذه المادَّة على أربعة أقسام ، وهي : الاستعمال الإلهي ، والاستعمال النبوي ، والاستعمال البشري ، وكانت هناك استعمل الشيطان هذه المادة ، ولكن لعدم وروده إلا مرَّة واحدة في القرآن الكريم ، وقد أدرجتها برؤية فرعون لكون الرؤيتين تعتمدان على التَّمويه ، وغايتهما التَّضليل.

تبيّن . بقرينيَّة السياق الكبرى . أنَّ مادة رأى لها عدة دلالات ، وتختلف دلالاتها بحسب موردها الاستعمالي في خطاب الشخص نفسه ؛ وهو ما لوحظ في خطابات الانبياء والبشر ، اما الخطاب الالهي فالرؤية فيه قد تحددت ببُعدٍ دلالي واحد ، وإن تمايز في دلالته طولاً ولكنَّه قد سار في خطّ مستقيم دلالياً .

تبيّن أنَّ دلالات هذه المادة تكون صادقة في الخطابين الالهي والنبوي ، في حين قد تفاوت صدقها في الخطاب البشري ، فقد تكون غير مطابقة مع واقعهم الذي هم عليه ، وهو ما كشفنا النقاب عنه في الرؤية البشرية في حال التعارض بين حقيقة الرؤية المبتغاة وواقعهم .

الهوامش :-

١-المكوّن هنا لا يقتصر على المادة المعجمية فقط بل يتعداها الى اللغة المنطوقة ايضاً.

٢- تعدد المعنى في القران بحث في أسس تعدد المعنى في اللغة من خلال التفاسير د. ألفة يوسف . دار سحر للنشر كلية الآداب دبنة ط٢ ، د . ت .

٣- السياق والتأويل من الاشكالية الفيلولوجية الى الاشكالية اللسانية د.احمد حساني ، مجلة الموقف الادبي ، العدد ٣٩٥ لسنة٢٠١٤: ص ٦٣ .

٤-علم الدلالة ، د. احمد مختار عمر: ٦٨ .

٥- دروس في علم الاصول : ١ / ١٠٨ ، من يتتبع جهود السيد محمد باقر الصدر في مختلف المجالات العلمية سيلاحظ ان الدقة المنهجية كانت هي السمة الاساسية لبحوثه ، فقد اتخذ منهجا علميا حاول فيه تحديد المصطلح وبيان حقيقته ، فلم يكن ليقف عند التطبيق فقط ، وانما كان يتجاوز ذلك ليحرر مصطلحاته العلمية على وفق رؤى علمية عامة قد تكون قابلة للانطباق على مصاديق كثيرة . الباحث .

٦- السياق وأثره في دلالة النص القرآني عند مفسري الإماميَّة في العصر الحديث ، عباس عبد الحسين غياض ، أُطروحة دكتوراه / كلية الآداب / جامعة البصرة / ٢٠١٣ : ٣٣ .

٧- علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ، منقور عبد الجليل : ٨٨ .

٨- المحيط في اللغة ، مادة سوق .

٩-معجم مقاييس اللغة : احمد بن فارس : ٣ / ١١٧ مادة س و ق .

١٠- المعجم الوسيط : ١ / ١١٧ .

١١-البحث الدلالي عند الاصوليين ، د.محمد يوسف حبلص : ٢٨ .

١٢- معجم المصطلحات الادبية المعاصرة ، د . سعيد غلوش : ١١٨ .

١٣-طه :٤١.٤٧ .

١٤-التبيان : ٧ / ١٧٥ .

١٥-المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ٤٦ .

١٦-تفسير الرازي : ٢٢ / ٦١ .

١٧- هذا له مجاله في المصادر العقدية والتوسع ليس هنا محله ، فهو يخرج البحث عن مرامه

١٨-الميزان: ١٤ / ١٥٧ .

١٩- العلق : ١٤ .

٢٠- التبيان : ١٠ / ٣٨١ .

٢١-الميزان :٢٠ / ٣٢٦ .

٢٢-الانعام : ٧٤ و٧٥ .

٢٣-كذلك ما نلاحظه مع موسى ع فقد بدأ معه بالرؤية ايضا ، ولكن الفرق بينهما أن الله قد بدأ مع ابراهيم بالرؤية المعنوية غير المقيدة بظواهر الماديات ، في حين قد بدأ مع موسى بالرؤية الحسية البصرية ، وأعتقد أنَّ الامر يعود الى سعة وعاء كل منهما وقوتهما الايمانية ، على أنني لا أستبعد مناسبة الحال لكل منهما في بدء الرؤية معهما ، فليس القلبية افضل من الحسية بقدر ما تتعلق احداهما بالإيمان ، وهذا ما تجلى بوضوح في قصتي ابراهيم وموسى ، فقد كانت الرؤية الحسية مع موسى والمعنوية مع ابراهيم .

٢٤-الانعام : ٧٥ .

٢٥- الاعراف : ١٨٥ .

٢٦- فاطر: ٩ .

٢٧-الاعراف :١٨٥ .

٢٨- الانعام : ٧٥ .

٢٩-الانعام : ٧٤ .

٣٠-التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور : ٧ / ٣١٥ وما بعدها .وهناك من يرى انها بصرية ايضا معتمدين على بعض الروايات . ينظر البحر المحيط : ٤ / ٢١٤ . و تفسير القرآن العظيم : ٢ / ٢٢٦ .

٣١- جوَّز الطاهر بن عاشور ان تكون بصرية ، فتعني حينئذٍ أنَّ ضلال أبيه وقومه صار كالشيء المشاهَد في احوال تقرباتهم للأصنام من الحجارة ، فهي حالة مُشاهد ما فيها من الضلال ، ومن ثم يكون قوله : " في ضلال مبين " في موضع حال . التحرير والتنوير: ٧ / ٣١٤ .

٣٢-ينظر التحرير والتنوير: ٧ / ٣١٤ .

٣٣-مواهب الرحمن ، السيد عبد الاعلى السبزواري : ١٤ / ٧٦ .

٣٤-م.ن : ١٤ / ١٨ .

٣٥- الانعام : ٧٣ .

٣٦-الصافات : ١٠٢

٣٧- الصحاح للجوهري ، ومقاييس اللغة ، احمد بن فارس : ٥ / ٤٤٤ .لسان العرب لأبن منظور مادة (ن ظ ر) : ٣ / ١٥٣٨

٣٨-التكاثر: ٥ .٧ .

٣٩- معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم ، د. محمد محمد داود : ١٣٥ .

٤٠-ينظر تفسير الميزان : ١٠ / ٢٤

٤١- الصافات : ١١٢

٤٢-التأويل وموقع البيان من بلاغة الخطاب القرآني ، عبد الرحمن بو درع ، ضمن كتاب بلاغة الخطاب الديني ، اعداد وتنسيق محمد مشبال / : ١١٠ .

٤٣-البقرة : ٢٦٠ .

٤٤- الاعراف : ١٤٣ .

٤٥-الانعام : ٧٥ .

٤٦- الأمثل :٤ / ٣٤٨ .

٤٧- التحقيق في كلمات القران الكريم ، العلامة مصطفوي : ٤ / ١٦ .

٤٩- الميزان في تفسير القرآن : ٧ / ١٣٢ .

٥٠- النحل : ١٢٠ .ولذلك نرى أن نبينا الكريم رأى ما هو اقرب من ذلك ((ما كذب الفؤاد ما رأى)).

٥١- الانعام : ٧٤ .

٥٢- البقرة : ٢٦٠ . إنَّ هذه الآية جاءت في سياق المحاجة مع النمرود في كيفية إحياء الموتى ، وكذلك في سياق استعظام عزير إحياء الموتى حين مرَّ على قرية خاوية .

٥٣- التبيان :٤ / ١٧٦ .

٥٤- حقائق التأويل : ٥ / ١٩٥ .

٥٥-الميزان : ٢ / ٢٠٠

٥٦- الكشاف : ١ / ٣٣٦ .

٥٧-ارواح المعاني : ٢ / ٣٤٠

٥٨-تفسير البيضاوي : ١ / ٢٩٢ .

٥٩- تفسير الرازي : ٣ / ٤٧٧ .

٦٠- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٢ / ٢٨٢ .

٦١- م.ن : ٢ / ٢٨٢ .

٦٢- الاعراف : ١٤٣

٦٣- سيأتي أنَّ السياق القرآني يقدم جملة قراءات ، منها: إنَّ الذي طلبه موسى هو الرؤية الحسية ولكن بمعنى اخر ، وهو ما سيتضح لنا

٦٤- الانعام : ١١ .

٦٥- الانعام : ٢٤ .

٦٦- النحل : ٣٦ .

٦٧- النمل : ٣٣ .

٦٨- التوبة : ١٢٧ .

٦٩- الصافات : ٨٨ .

٧٠- عابس : ٢٤ .

٧١- الاحزاب : ١٩ .

٧٢- التحقيق في كلمات القرآن الكريم : ١٢ / ١٨٤ . وقد قال الراغب الاصفهاني عن بيان طلب موسى عليه السلام : ((وأما قوله: {رب أرني أنظر إليك} [الأعراف/ ١٤٣]، فشرحه وبحث حقائقه يختص بغير هذا الكتاب.)) . مفردات الراغب ، مادة نظر .

٧٣- التحقيق في كلمات القرآن الكريم : ١٢ / ١٨٤ و١٨٥ .

٧٤- الاعراف : ٤٣ .

٧٥- القيامة : ٢٢ و٢٣ .

٧٦- مفردات الراغب الاصفهاني ، مادة نظر .

٧٧- معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم ، د. محمد محمد داود : ١٣٦ .

٧٨- مفردات الراغب ، مادة نظر .

٧٩- ينظر منة المنان في الدفاع عن القران : ١ / ٥٣ . وينظر معه السياق واثره في دلالة النص القرآني عند مفسري الامامية في العصر الحديث : ٧٧ . ٧٨ .

٨٠- تنزيه الانبياء ، الشريف المرتضى : ١١٤ .

٨١- تفسير مقتنيات الدرر ، السيد علي الحائري الطهراني : ٩ / ١٦ . ١٧ .

٨٢- الميزان في تفسير القران : ٨ / ٢٠١ .

٨٣- الصواب الاشتياق .

٨٤- التحقيق في كلمات القرآن الكريم : ٤ / ١٩ .

٨٥- تنزيه الانبياء : ١١٢ .

٨٦- النساء : ١٥٣ .

٨٧- البقرة : ٥٥ .

٨٨- الاعراف : ١٥٥ .

٨٩- من هدى القران ، السيد محمد تقي المدرسي : ٣ / ١٠٩ . وهذا منهج قرآني في نشر العقيدة السليمة وفي درء المفاسد ، وهو عينه الذي فعله ابراهيم مع اسماعيل ، فقد اوحى الله إليه أن اذبح ابنك ، فاستهجنها الناس بعد ان كانت مسألة ذبح الابناء معروفة آنذاك ، فكان علاج الامر بهذه المسألة . ينظر المصدر نفسه : ٣ / ١٠٩ .

٩٠- التحقيق في كلمات القرآن الكريم : ٤ / ١٩ . ٢٠ .

٩١-النجم : ١ . ٢٣ .

٩٢- الكشاف : ٤ / ٤٢١ وينظر معه ايضا : تفسير البيضاوي : ٥ / ١٥٨ . و وتفسير البغوي : ٧ / ٤٠٣ ، وتفسير ارواح المعاني ١٩ / ٤٨٤ .

٩٣-النجم : ٩ .

٩٤- التحرير والتنوير : ٢٧ / ٩٩ .

٩٥- النجم : ٢ . ٤ .

٩٦-ينظر الميزان في تفسير القران : ١٩ / ٢٦ . ٢٧ بتصرف قليل

٩٧- التحقيق في كلمات القرآن الكريم : ٤ / ١٦ .

٩٨-النجم : ١٨ .

٩٩-النجم : ١٧ .

١٠٠- الميزان في تفسير القران : ١٩ / ٢٨ .

١٠١- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ١٧ / ١٥٩ .

١٠٢- الميزان : ١٩ / ٢٦ .

١٠٣- التفسير البنائي للقران الكريم ، د. محمود البستاني : ٤ / ٣٨٨ .

١٠٤- ينظر التفسير البنائي للقران الكريم : ٤ / ٣٩٠ . ٣٩١ .

١٠٥- البقرة : ٢٤٣ .

١٠٦- التبيان : ٢ / ٢٨١ .

١٠٧- ابراهيم : ١٩ .

١٠٨- نوح : ١٥ .

١٠٩- الميزان في تفسير القرآن : ٢ / ٢٣٧ .

١١٠- آل عمران : ٢٣ .

١١١- التبيان : ٢ / ٤ ٢٤.

١١٢- التحرير والتنوير : ٣ / ٢٠٩ .

١١٣- الفرقان : ٤٥ .

١١٤- مفردات الراغب مادة رأى .

١١٥- معجم مقاييس اللغة مادة : ن ظ ر.

١١٦- معجم الفروق الدلالية في القران الكريم لبيان الملامح الفارقة بين الالفاظ متقاربة المعنى والصيغ والاساليب المتشابهة ، د.محمد محمد داود : ١٣٣ .

١١٧- التحرير والتنوير : ٣ / ٢٠٩ .

١١٨- النساء : ٤٤ .

١١٩- التحرير والتنوير : ٥ / ٧١ .

١٢٠- التوبة : ٤٤ .

١٢١- التبيان في تفسير القران : ١ / ٢٢٧ .

١٢٢- الكشاف : ١ / ٥٤٨ .

١٢٣- النساء : ٤٤ و٤٥ .

١٢٤- النساء : ٤٩ و٥٠ .

١٢٥- مجمع البيان : ٣ / ٩٠ .

١٢٦- النساء : ٦٠

١٢٧- مجمع البيان : ٣ / ١٠١ .

١٢٨- ابراهيم : ١٩ .

١٢٩- مجمع البيان : ٦ / ٥٩ .

١٣٠- ينظر الكشاف : ١ / ٣١٨ و٣٣٢ ، وينظر الميزان : ٢ / ٢٣٧ .

١٣١- النساء : ١٠٥ .

١٣٢- التبيان : ٣ / ٣١٢ .

١٣٣- تفسير الرازي : ٥ / ٣٦٩ .

١٣٤- الكشاف : ١ / ٥٩٥ .

١٣٥- تفسير البيضاوي : ٢ / ٩٥ .

١٣٦- تفسير البحر المديد المعروف بتفسير ابن عجيبة : ١ / ٤٨٢ .

١٣٧- تفسير ابن عجيبة : ١ / ٤٨٢ .

١٣٨- الميزان : ٥ / ٦٣ .

١٣٩-الاحزاب : ٤ .

١٤٠- التحرير والتنوير: ٥ / ١٩٢ .

١٤١- غافر ٢٣ . ٢٩ .

١٤٢- تفسير البيضاوي : ٥ / ٥٦ .

١٤٣- التحرير والتنوير: ٢٤ / ١٣٣ .

١٤٤- اجتهادات لغوية ، د.تمام حسان : ٢٠٥ .

١٤٥- الميزان في تفسير القران ١٧ / سورة غافر

١٤٦- غافر: ٢٦ .

١٤٧- البحر المحيط لأبي حيان الاندلسي : ٧ / ٤٤١ و٤٤٢ و٤٤٣ .

١٤٨- هود : ٢٥ . ٢٩ .

١٤٩- الميزان : ١٠ / ١٥٦ .

١٥٠- التحرير والتنوير: ١٢ / ٤٧ .

١٥١- الميزان : ١٠ / ١٥٦ . للوقوف على المسألة برؤية حجاجية أكثر تفصيلاً ينظر:الميزان : ١٠ / ١٥٦ وما بعدها .

١٥٢- هود : ٢٨ .

١٥٣- يوسف : ٥٩ . ٦٢ .

١٥٤- التبيان : ٦ / ١٥٧ .

١٥٥- المحرر الوجيز لابن عطية : ٤ / ١٩ .

١٥٦- يوسف : ٢٣ . ٣٤ .

١٥٧-التحرير والتنوير : ١٢ / ٢٥٤ .

١٥٨- يوسف : ٣١ . ٣٢ .

مصادر البحث ومراجعه

ـ القرآن الكريم

١. اجتهادات لغوية ، الدكتور تمَّام حسَّان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٧ م .

٢. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : مجموعة مؤلفين باشراف الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .لبنان .ط١ ، ١٤٢٣هـ.٢٠٠٢ م .

٣. انوار التنزيل واسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ، للبيضاوي ، اعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار احياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، ط١ .

٤. البحث الدلالي عند الاصوليين ، د.محمد يوسف حبلص ، عالم الكتب ، القاهرة ط١ ، ١٩٩١ .

٥. التأويل وموقع البيان من بلاغة الخطاب القرآني ، عبد الرحمن بو درع ، ضمن كتاب بلاغة الخطاب الديني ، اعداد وتنسيق محمد مشبال .

٦. التبيان في تفسير القرآن لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق : أحمد قصير العاملي ، مكتب الإعلام الإسلامي ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ، ط١ ، ١٤٠٩هـ.

٧. التحقيق في كلمات القرآن الكريم للشيخ حسن المصطفوي ، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، ايران ، ط١ ، ١٤١٧م.

٨. التفسير البنائي للقرآن الكريم للدكتور محمود البستاني ، مجمع البحوث الاسلامية ، مؤسسة الطبع التابعة للاستانة الرضوية المقدَّسة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .

٩. تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر د.ط ، ١٨٨٤ .

١٠. تفسير الصافي : فيلسوف الفقهاء المولى محسن الفيض الكاشاني ، تح : الشيخ حسين الأعلمي ، المطبعة ، مؤسسة الهادي . قم المقدسة . الناشر : مكتبة الصدر ، طهران ، ط٢ ، ١٤١٦ هـ.

١١. تفسير القرآن العظيم المشتهر بتفسير المنار : الشيخ محمد رشيد رضا ، وهي مجموعة الدروس التي أخذها عن استاذه الشيخ محمد عبده ، دار المنار بالقاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٤ م

١٢. التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط : ابو حيان الاندلسي ، مكتبة ومطابع النصر الحديثة ، الرياض . المملكة العربية السعودية د. ط .

١٣. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، تح : عبد الرزاق المهدي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ،(د.ت).

١٤. تفسير مقتنيات الدرر مير سيد علي الحائري الطهراني المعروف بالمفسِّر(ت ١٣٥٣ هـ) الناشر محمد الاخوندي مدير دار الكتاب الاسلامية بازار سلطاني طهران مطبعة الحيدري بطهران ١٣٣٧ هـ . ش .

١٥. تنزيه الانبياء ، الشريف المرتضى ، انتشارات الشريف المرتضى ، قم ، ط١ ، ١٣٧٦ هـ ش .

١٦. حقائق التأويل في متشابه التنزيل تأليف السيد الشريف الرضي المتوفي ٤٠٦ الجزء الخامس شرحه العلامة الاستاذ محمد الرضا آل كاشف الغطاء دققته دار المهاجر للطباعة. والنشر. والتوزيع.

١٧. دروس في علم الاصول : السيد محمد باقر الصدر، اعداد وتحقيق لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر ، مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر (قد)، قم، ط٣، ١٤٢٦ هـ.

١٨. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي ، طبعة جديدة مصححه ، تحقيق : محمد احمد ، عمر عبد السلام السلامي ، دار احياء التراث العربي ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

١٩. الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية : إسماعيل بن حماد الجوهري ، دار العلم للملايين ، بيروت . ط٤ ، ١٩٨٧م .

٢٠. علم الدلالة ، د.احمد مختار عمر ، عالم الكتب ، ط٥ ، ١٩٩٨ م .

٢١. علم الدلالة ، د.منقور عبد الجليل ، مكتبة الاسد الوطنية دمشق ، ط١ ، ٢٠٠١ .

٢٢. لسان العرب الإمام العلامة ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط٦ ، ١٩٩٧ م .

٢٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي ابن عطية الاندلسي ، تح عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١ .

٢٤. معالم التنزيل ، المعروف بتفسير البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى ٥١٦ هـ] حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش ، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط ٤، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٢٥. معجم الفروق الدلالية في القران الكريم لبيان الملامح الفارقة بين الالفاظ متقاربة المعنى والصيغ والاساليب المتشابهة ، د.محمد محمد داود ، دار غريب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٨م .

٢٦. معجم المصطلحات الادبية المعاصرة ، عرض وتقديم وترجمة : الدكتور سعيد غلوش ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت . لبنان ، ط١ ، ١٩٨٥ م .

٢٧. المعجم الوسيط لمجموعة مؤلفين < إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر. محمد النجار> ، مجمع اللغة العربية في القاهرة ، مكتبة الشروق الدولية ، ط٤ ، ١٤٢٥ هـ.٢٠٠٤م.

٢٨. معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، د.ت .

٢٩. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) : الفخر الرازي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ط٣ ، ٢٠٠٠م .

٣٠. مفردات ألفاظ القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، منشورات النور ، قم ، ط٢ ، ١٤٢٧ هـ .

٣١. من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٩ م .

٣٢. منة المنان في الدفاع عن القران < محاضرات > السيد محمد محمد صادق الصدر ، تحقيق مؤسسة المنتظر لإحياء تراث آل الصدر ، دار ومكتبة البصائر للنشر والتوزيع والاعلام ، لبنان . بيروت . ط١ ، ١٤٣٣ هـ . ٢٠١٢ م

٣٣. مواهب الرحمن في تفسير القرآن : السيد عبد الأعلى السبزواري ، دار التفسير، ط٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٣٤. الميزان في تفسير القرآن : العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، طبعة مميزة ومحققة ، تحقيق : الشيخ إياد باقر سلمان ، قدَّم له : السيد كمال الحيدري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . لبنان ، ط١ ، ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦ م .

الرسائل والأطاريح

. السياق وأثره في دلالة النص القرآني عند مفسري الإماميَّة في العصر الحديث ، عباس عبد الحسين غياض ، أُطروحة دكتوراه / كلية الآداب / جامعة البصرة / ٢٠١٣ .